الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية وانعكاساته التربوية: "دراسة تأصيلية"

د. عدنان مصطفى خطاطبة
قسم الدراسات الإسلامية- كلية الشريعة
جامعة اليرموك- الأردن

الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية وانعكاساته التربوية: "دراسة تأصيلية"

د. عدنان مصطفى خطاطبة
قسم الدراسات الإسلامية– كلية الشريعة
جامعة اليرموك– الأردن

ملخص البحث:

هدفت الدراسة إلى بحث الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية وانعكاساته التربوية، وذلك من خلال الإجابة عن أسئلة الدراسة وهي: ما مفهوم الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية؟ وما مرتكزات الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية؟ وما أبرز الانعكاسات التربوية للأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية؟ وهذه الدراسة نظرية تأصيلية تم فيها استخدام المنهج الوصفي الاستنباطي. وكان من أهم نتائج الدراسة: أن "الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية" يمثل منظومة المرتكزات الأخلاقية التي تُبْنى عليها التربية الإسلامية، وتَستْند إليْها في جانبيها النظري والتطبيقي. وأن مراعاة التربية الإسلامية لمرتكزات الأصل الأخلاقي يظهر واقعية أنظمة الإسلام وتشريعاته وقيمه. وأن التزام التربية بمرتكز المصدرية يترجم باستخراج قائمة الأخلاق التي تحتاجها العملية التربوية من القرآن والسنة، وأن مرتكز النسقية يؤكد جوهر القضية الأخلاقية في اهتمامات التربية الإسلامية، وأن تطبيق مرتكز المعيارية يقدم للمجتمع تربية أخلاقية تتصف بالموضوعية. ومراعاة مرتكز المسؤولية والجزاء يجعل العملية التربوية عملية مسؤولة، وإيجابية، وناقدة وواقعية. وأوصت الدراسة المؤسسات التربوية بأن تعطي الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية بمفهومه ومرتكزاته مساحة أوسع في مناهجها وفي بحثها العلمي على السواء.

الكلمات المفتاحية: الأصل الأخلاقي، التربية الإسلامية، الانعكاسات التربوية.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

يعد موضوع العلاقة بين الأخلاق والتربية من الموضوعات التي شغلت تفكير العلماء والتربويين قديما وحديثا، وحاولوا في كل مرحلة فكرية تقديم التصور المناسب في رسم العلاقة بينهما وطرق معالجة الحاجة الأخلاقية للمجتمعات والتعليم.

ولما كان لموضوع الأخلاق والتربية عليها ذلك القَدر الكبير في ديننا الحنيف، والاهتمام الشديد، وكان الالتزام بالخلق الإسلامي يعد دينا وعبادة، وتعليمه فرضاً على الأمة، وأصبحت الحاجة إليه، وبخاصة في زماننا، عظيمة وواسعة قد عَمّت مختلف مجالات التربية والتعليم والدعوة والاقتصاد وغيرها، كان لا بد من إعطاء محور الأخلاق مزيدا من الاهتمام العلمي والتأصيل الشرعي وتأسيس علاقته بالتربية والتعليم بشكل علمي، وذلك بتحديد خلفياتها ومقوماتها وأرضيتها العملية المنبثقة من المرجعية الإسلامية، بحيث تبدو نمطاً نظامياً، وبناءً أصيلاً يحمل وجهة الدين الإسلامي باعتباره نظاماً مؤسساً ومحكماً في أصوله وفروعه، وفي سائر مكوناته، وهو ما يساعد بشكل أساسي في تحقيق التطبيق العملي السليم لمنظومة الأخلاق الإسلامية في واقع المجتمعات الإسلامية ومؤسساته التربوية المختلفة، ويمكن إظهار ذلك بالنسبة للأخلاق الإسلامية في المجال التربوي تحديداً بأن يتم دراستها باعتبار أنها أصل من أصول التربية الإسلامية، وهذا ما ستتوجه إليه هذه الدراسة حيث ستبحث موضوع "الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية" وانعكاساته التربوية.

مشكلة الدراسة: يعد مجال أصول التربية الإسلامية من المجالات الرئيسة المكونة لحقل التربية الإسلامية، وهو يتكون من مجموعة من الأصول تشتمل على: الأصل العقدي للتربية الإسلامية والأصل التعبدي والأصل التشريعي والأصل النفسي والأصل الاجتماعي والأصل الأخلاقي وغيرها مما قد يضاف من وجهة نظر بعض الباحثين.

ويشير واقع حقل أصول التربية الإسلامية إلى كونه يعاني من نقص واضح في عدد تلك الدراسات العلمية التي تعالج هذا العدد من الأصول، وهذه المشكلة قد عاشها الباحث وطلابه عمليا خلال مسيرة تدريسه لمساق أصول التربية الإسلامية لطلبة الدراسات العليا لسنوات، ومن هنا رأى الباحث أن يقدم عددا من الدراسات البحثية التي تمهد الأرضية المعرفية للتوسع في بناء أصول التربية الإسلامية وتطبيقاتها التربوية ضمن سلسة من الدراسات المتخصصة بهذا المجال، وقد جاءت هذه الدراسة متخصصة في الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية، وتكونت مشكلة الدراسة من الأسئلة الرئيسة الآتية:

١- ما مفهوم الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية؟

٢- ما مرتكزات الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية؟

٣- ما أبرز الانعكاسات التربوية للأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية؟

وستجيب الدراسة عن جميع أسئلة الدراسة وتناقشها من خلال مباحث الدراسة.

أهداف الدراسة: تتحدد أهداف الدراسة بناء على أسئلتها التي ستجيب عليها بالآتي:

- بيان مفهوم الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية.
- تحديد أهم مرتكزات الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية.
- استنباط أبرز الانعكاسات التربوية للأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية.

أهمية الدراسة: تظهر أهمية الدراسة فيما يأتي:

– تقدم الدراسة تأصيلا شرعيا لبنية الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية.

– تدفع الدراسة المختصّين بالتربية الإسلامية إلى مزيد من الاهتمام بمجال أصول التربية الإسلامية.

– ترفد المكتبة التربوية بدراسة علمية تجمع بين التأصيل العلمي للأخلاق ودورها التربوي.

منهج الدراسة: يستخدم الباحث في دراسته هذه المنهج الوصفي الاستنباطي، حيث سيقوم باستقاء المعارف من أصولها الإسلامية الأولى مدعومة بآراء العلماء ثم

إجراء عمليات الاستنباط والتحليل والربط بالواقع انطلاقا من الكتاب والسنة. وذلك فيما يتصل بموضوع الأخلاق الإسلامية تحديداً باعتبارها أصلا من أصول التربية الإسلامية.

حدود الدراسة: تنضبط الدراسة الحالية من أجل تحقيق أهدافها ببحث البنية المعرفية للأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية ممثلة بمجموعة من المرتكزات المعبرة عنه، وانعكاسات ذلك التربوية التي ستكون بصورة مجملة ومركزة، وبعيدة عن التفاصيل لكون الدراسة تأصيليّة تربوية تعنى بتقديم تصور أساسي للأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية.

التعريفات الإجرائية: يعرف الباحث- إجرائيا- المفاهيم الأساسية الواردة في عنوان دراسته ويستخدمها وفقا لدلالاتها الآتية:

- **الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية:** تلك المنظومة من المرتكزات الدالة على البنية النظرية العامة المكوّنة لَقَوَام الأخلاق الإسلامية، التي تشكل بمجموعها أصلا تبنى عليه تربيتنا الإسلامية.
- **الانعكاسات التربوية:** التأثير التربوي المحتمل للأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية ومرتكزاته على التربية الإسلامية والعملية التربوية وقيم المربي المسلم والوظيفة التربوية التي يمكن أن يؤديها.
- **الدراسة التأصيلية:** تحرير منظومة المفاهيم المكونة للأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية تحريراً شرعياً، وذلك باتخاذ المرجعية الشرعية منطلقا في فهم تلك المنظومة وسبر حقيقتها وتجلية انعكاسها التربوي.

خطة الدراسة: تكونت الدراسة من ثلاثة مباحث، هي: المبحث الأول: مفهوم الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية، والمبحث الثاني: مرتكزات الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية، والمبحث الثالث: أبرز الانعكاسات التربوية للأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية.

اللهم اجعل أعمالنا صالحة واجعلها لوجهك خالصة.

* * *

المبحث الأول: مفهوم الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية

بما أن مفهوم الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية من المفاهيم المركبة من أكثر من جزء؛ لذلك سيتم تعريف كل جزء على حده ثم تعريف المركب ككل، وهذا هو الأسلم من الناحية المنهجية، وذلك كما يأتي:

أ- تعريف الأصل

الأصل لغة: أصل: الهمزة والصاد واللام ثلاثة أصول متباعدة (أصل، أصلة، آصال) بعضها من بعض، والمعنى الذي يخص هذه الدراسة، أن الأصل هو أساس الشيء[1]. والأصل: أسْفل الشيء[2]، وأساسه الذي يقوم عليه، ومنشؤه الذي ينبت منه[3]، وجمع أصل: أصول[4]، وأصول العلوم: قواعدها التي تبنى عليها[5]. ويلحظ من خلال هذه المعاني اللغوية لكلمة (الأصل) تفسير معناه بالأساس وبالقاعدة، ودلالته على الشيء الثابت الراسخ الذي يلزم لإقامة البناء عليه، سواء أكان بناءً مادياً أم معنوياً.

وأما "الأصل" اصطلاحاً: فيعرف (الأصل) بعدّة تعريفات، منها : الأصل: هو المصدر والدليل، يقال: أصل هذه المسألة الكتاب والسنة، أي مصدرها ودليلها، وهو المبادئ العليا التي تقوم عليها حياة الناس في دينهم ودنياهم؛ كمبدأ الحرية وغيره[6]، وعرف بأنه "القوانين والقواعد التي يبنى عليها العلم، مثل "أصول الدين"،" أصول العلوم"."[7]

ويعرف الباحث **الأصل** بأنه: **القوانين والقواعد التي يبنى عليها العلم والعمل.**

---

(١)ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم المقاييس في اللغة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ، ص ٧٧.

(٢)ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ط)، جـ٦، ص ١٣٤.

(٣)مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الدعوة، استانبول، ١٤١٩هـ – ١٩٨٩م، جـ١، ص ٢٠.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، جـ٦، ص ١٣٤.

(٥) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، جـ١، ص٢٠.

(٦) الحازمي ، عبد الرحمن، التوجيه الإسلامي لأصول التربية ، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٤هـ، ص ٣٨، ٣٩.

(٧) باقارش، صالح سالم، وعبد الله محمود، أصول التربية العامة والإسلامية، دار الأندلس، حائل، ط٢، ١٩٩٦م، ص ٣٠.

ب- تعريف الأخلاق:

يعد مفهوم الأخلاق في هذه الدراسة المفهوم المركزي الذي بوضوحه تتضح طبيعة الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية وتنضبط حقيقته وتوجهاته، ومن هنا حرص الباحث على تحرير معنى الأخلاق وفق الأصول العلمية والشرعية واختيار التعريف الموافق لذلك.

تعريف الخلق لغة: الخلق لغة: قال ابن فارس: خلق "الخاء واللام والقاف، أصلان: أحدهما: تقدير الشيء، والآخر ملامسة الشيء"(١). والأصل الأول منها هو ذو الصلة بمعنى الخُلق لغة كما جاء ذلك في توضيح ابن فارس للأصلين، حيث قال: "فأما الأول فقولهم: خَلَقْتُ الأديم للسقاء، إذ قدّرته، ومن ذلك الخُلق، وهي: السّجية، لأن صاحبه قُدّر عليه"(٢). وأما الخَلاقُ فهو النّصِيب(٣)، لأنه قدّر لكل أحد نصيبه(٤). وعليه فالمعنى اللغوي الذي أورده ابن فارس لكلمة الخُلق هو: السّجية. والسجية في اللغة تعني أيضاً: الطبيعة والخُلق، والجمع: سجايا(٥). وقال ابن منظور: "وأصل الخلق: التقدير، والخلق بضم اللام وسكونها وهو الدين والطبع والسجية. وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها، والخلق أيضاً يعني: المروءة(٦). وفي القاموس المحيط، "الخُلْق بالضم، وبضمّتين (الخُلُق): السّجية والطّبع، والمروءة والدين"(٧). وفي المعجم الوسيط، تخلق بخلق كذا بمعنى تطبع به(٨).

---

(١) ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم المقاييس في اللغة، ص ٣٢٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٢٩.

(٣) وهذا كما في قوله تعالى: (فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ) (البقرة، ٢٠٠)، أي: من نصيب.

(٤) ابن فارس، أحمد معجم المقاييس في اللغة، ص ٣٢٩.

(٥) مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط، ص ٤١٨.

(٦) ابن منظور، محمد ، لسان العرب، ج٥، ص ٨٣٢، ٨٣٦.

(٧)الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٦، ١٤١٩هـ، ص٨٨١.

(٨) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص ٢٥٢.

ويؤخذ من هذا الكلام الموضّح للمعنى اللغوي لكلمة "الخُلق" ما يأتي:

- الضبط اللغوي لكلمة "خلق" يكون بشكلين هما: الخَلْق: بضم الخاء وتسكين اللام، والخُلُق: بضم الخاء واللام، وأنهما في الدلالة سواء لا فرق بينهما.
- المعنى اللغوي الذي تدور عليه كلمة "الخلق" هي: السجية والطبع، والمروءة والدين.
- المعنى اللغوي لكلمة الخلق فيه إشارة واضحة لدلالته على صفات أخلاقية جبلية في النفس، كما في المعنيين: السجية والطبع، وعلى صفات أخلاقية مكتسبه، كما في المعنيين المروءة والدين.
- الجمع الوحيد لكلمة "خلق" في لغة العرب هو: أخلاق.

تعريف الأخلاق الإسلامية اصطلاحاً: سيقف الباحث على تعريف الخلاق اصطلاحا في تراثنا الإسلامي ومن واقعنا المعاصر جمعا للآراء وتنويعاً ومن أجل الوقوف على ما هو أصوب.

– تعريف الأخلاق في التراث الإسلامي: يحفل تراثنا الإسلامي بموضوعات الأخلاق من جوانبها المختلفة نظراً لما تحتله الأخلاق من مكانة سامية في الدين الإسلامي وفي حياة العرب والمسلمين، وفيما يتعلق بتعريف الأخلاق في التراث الإسلامي، فثمة تعريفات عدة، من أهمها: يعرف ابن مسكويه الخلق بقوله: "الخلق: حال للنفس داعية على أفعالها من غير فكر ولا روية، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج: كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب، ويهيج من أقل سبب، وكالذي يضحك ضحكاً مفرطاً من أدنى شيء يعجبه، ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدريب، وربما كان مبدؤه بالرويّة والفكر، ثم يستمر عليه حتى يصير ملَكَةً وخُلقاً"[1]، ويعرف الغزالي الخُلق بقوله: "الخلق: عبارة عن هيئة راسخة في النفس، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فِكْر ورويّة، فإن كانت الهيئة بحيث

(١) ابن مسكويه، أحمد بن محمد، تهذيب الأخلاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص ٢٥–٢٦.

تصدر عنها الأفعال الجميلة محمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً. وإنما قلنا هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لا يقال خلقه السخاء، واشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية؛ لأن من تكَلّف بذل المال لا يقال خُلقه السّخاء"[1].. ويعرف ابن القيم الخُلق بقوله: "الخلق: هيئة مركبة من علوم صادقة، وإرادات زاكية، وأعمال ظاهرة وباطنة، موافقة للعدل والحكمة والمصلحة، وأقوال مطابقة للحق، تصدر تلك الأقوال والأعمال عن تلك العلوم والإرادات فتكتسب النفس بها أخلاقاً هي أزكى الأخلاق وأشرفها وأفضلها[2]. ثم يجعل تطبيقاً لهذا التعريف بقوله: "فهذه كانت أخلاق رسوله الله صلى الله عليه وسلم المقتبسة من مشكاة القرآن، فكان كلامه مطابقاً للقرآن، وعلومه علوم القرآن، وإرادته وأعماله ما أوجبه القرآن، وإعراضه وتركه لما منع منه القرآن، ورغبته فيما رغب فيه وكراهته لما كرهه وسعيه في تنفيذ أوامره (القرآن)"[3].

هذه جملة من تعريفات الخُلق في تراث المسلمين، ولا بد من تسجيل بعض الملاحظات عليها، من ذلك:

- التقارب الواضح في تعريف الخلق عند كل من ابن مسكويه والغزالي من كونه يجتمع في ضرورة كونه هيئة وحالة في النفس، وأن الخلق لا يحتاج لروية لصدوره، ولكن هل هذا الحصر والتحديد في اشتراط صدوره صحيح على إطلاقه؟

- بناء على تعريف ابن مسكويه والغزالي يقال: "إن قوى النفس وملكاتها كثيرة ومتعددة، منها: قوة التفكير والتذَكّر، كما في النفس الغرائز والوجدانات، وكل هذه

(١) الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، ج٤، ص ٩٢.
(٢) ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، دار الفكر، بيروت (د.ط)، ج١، ص ١٣٢.
(٣) المرجع السابق، ج١، ص ١٣٢.

قوى نفسية تصدر عنها آثارها بسهولة ويسر، فأي هذه القوى يسوغ أن نسميه خلقاً"[1]، كما أنها أغفلت الجانب العملي الظاهر وهو السلوك فكون الخلق حالاً للنفس أو هيئة يقصر معنى الخلق على الصفات النفسية وهي أمر معنوي[2].

- تأثر بعض العلماء والفلاسفة المسلمين بالفلسفة اليونانية وبآرائها في الأخلاق، وبخاصة آراء أرسطو وأفلاطون، حيث تأثر بهما كل من ابن مسكويه والغزالي وهذا ظاهر هنا في تعريف كلّ منهما للأخلاق[3]. ولذلك كان في تعريفهما هذا ابتعاد عن منهج علماء السلف.

- جاء تعريف ابن القيم أكثر عمقاً واستقلالية وشمولية وتعبيراً عن المفهوم الإسلامي، فهو يأتي على عناصر الخلق جميعها.

- ضرورة أن يتنبّه التربوي المسلم إلى المفاهيم الأخلاقية التي يحملها ويدعو غيره إليها، مِنْ أن تكون ملوثة بالفكر الفلسفي المنحرف أو بوجهات نظر ناقصة لا تعبر عن وجهة النظر الإسلامية الصحيحة والشاملة لمفهوم الأخلاق.

– تعريف الأخلاق في الاتجاه الإسلامي المعاصر: بداية، لا بد من التأكيد على أن ثمة فرقاً بين تعريف الأخلاق المعبّر عن وجهة النظر الإسلامية، والممثل للمفهوم الإسلامي، وتعريف الأخلاق في الاصطلاح العام. فالتعريفات السابقة الذكر، ومنها تعريفات الأخلاق عند العلماء والباحثين المسلمين المعاصرين لا يمكن القول بأنها تمثل مفهوم الأخلاق في التصور الإسلامي تحديداً، لأنها تعريفات ذات صبغة مفاهيمية عامة تصف الخلق من حيث هو خلق فقط، وإن كان من استثناء فيها فهو ما ذكره ابن القيم وما شرح به تعريفه، ولذلك لا بد حينما نعرف الأخلاق في الإسلام تحديداً أن نحاول استقصاء الصورة

---

(١) العمْرو، عبد الله بن محمد، الأخلاق بين المدرستين السلفية والفلسفية، ص ١٠٨.

(٢)الحليبي، أحمد، المسؤولية الخلقية والجزاء عليها (دراسة مقارنة)، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٩٦٦م، ص ١٩.

(٣) ينظر حول تأثير النظرية الفلسفية اليونانية في المباحث الأخلاقية عند بعض العلماء والفلاسفة والمسلمين: السيد، عزمي طه، الفلسفة: مدخل حديث، دار المناهج، عمان، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٢٢٢–٢٢٣.

الإسلامية المتكاملة والمعبرة عن هذا المعنى، وقد وقف الباحث على بعض هذه التعريفات، ومنها: تعريف مقداد يالجن، حيث عرف الأخلاق من وجهة النظر الإسلامية بأنها: "عبارة عن تلك المبادئ والقواعد المنظّمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان تنظيماً خيراً على نحو تحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه"(١)، وتعريف عزمي طه السيد، حيث عرف الأخلاق الدينية بأنها: "جملة القواعد والمبادئ والتوجيهات والأوامر والنواهي التي وردت في الدين، والتي يطلب من الناس تطبيقها وممارستها في سلوكهم وتعاملهم في الحياة مع الله ومع الآخرين ومع الأشياء(٢)، ويعرف زمزمي الأخلاق في الإسلام بأنها: "مجموعة الصفات والقواعد الواردة في النصوص الشرعية، التي تنظم حياة الإنسان من حيث علاقته بغيره"(٣).

والملاحظ على التعريفات جميعها أنها تحدد مرجعية الأخلاق في إطار الشرع، وتربط مبادئها بالإسلام وبحياة الناس وعلاقاتهم. ومن أشهر التعريفات السابقة وأقواها علمية وأكثرها تبنياً من قبل الباحثين، تعريف "مِقْداد يالْجِن" للأخلاق في الإسلام والذي توصل إليه بعد دراسة وبحث مستقل في الأخلاق الإسلامية.

والباحث سيستفيد من جوهر هذا التعريف والتعريفات الأخرى في صياغة تعريف للأخلاق يكون الأقرب لتمثيل وجهة النظر الإسلامية وتوضيحها.

يعرف الباحث **الأخلاق الإسلامية** بأنها: **"منظومة القيم والتوجيهات الإسلامية، التي تصلح شأن الجماعة المسلمة، وتنظم سلوك الفرد المسلم تجاه ذاته والآخرين، بقصد تحقيق السعادة في الدنيا والفوز في الآخرة".**

ولهذا التعريف ميزات عدّة، منها:

---

(١) يالجن، مقداد، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، ص ٢٨٧.

(٢) السيد، عزمي طه، الفلسفة: مدخل حديث، ص ٢٢٥.

(٣) زمزمي، يحيى بن محمد، المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم، ١٤٢٤هـ، ص ٩.

- ينظر إلى الأخلاق الإسلامية على أنها منظومة متماسكة، لا مجرد أعراض متناثرة، ومطالب متقطعة، وهذا شأن التشريع الإسلامي في باب الأخلاق أو غيره، يقدمها على أساس أنها سلسلة متصلة، ومنظومة مجتمعة، وأحكام متماسة معاً. فلا يقبل أن يؤْمن المسلم ببعضها ويكفر ببعض، وأن يعمل بجزء منها ويرفض الآخر. فالإسلام قدم منظومة أخلاقية متكاملة ومتماسكة.

- تعنى هذه القيم والتوجيهات بباطن الإنسان المسلم وبظاهره.

- حدّد التعريف وجهة القيم والتوجيهات والمبادئ الأخلاقية بالوجهة الإسلامية، فلا تعد الأخلاق أخلاقاً إسلامية، ما لم يقرها الشّرع وما لم تتفق مع مصادره ومقاصده.

- أعطى التعريف البعد الاجتماعي والفردي معاً للأخلاق، كما أعطى البعد الشمولي للعلاقات فشملت الخالق والمخلوق.

- استخدم التعريف كلمة "المسلم" بدلاً من كلمة "الإنسان".

- ربط التعريف الأخلاق بالغايات الدنيوية النافعة والصالحة، وبالغايات الأخروية النفيسة، وإذا ما قورنت هذه الميزات مع كثير من التعريفات السابقة كلها، لوحظ الفرق الكبير لصالح الفهم الإسلامي الجامع.

مثال يوضح التعريف وميزاته:

"خلق الصدق": فخلق الصدق في الإسلام، ينظر إليه على أنه قيمة ومبدأ كلي دعا إليه الإسلام لا مجرد فرع ثانوي في الدين وهو يقع ضمن منظومة الدين المتكاملة من العقيدة والعبادات والمعاملات والتقوى، ودوره كبير في إصلاح شأن الجماعة والفرد، فمتى ما صدق المسلم مع الله ومع ذاته ومع بقية المخلوقات، ومتى ما صدقت الجماعة كذلك، قاد هذا إلى تحقيق السعادة الحياتية، وتقدم المجتمع المسلم، وحقق للجميع رضوان الله تعالى.

جـ- تعريف التربية الإسلامية

يعرّف "مقداد يالجن" التربية الإسلامية بأنها "تنشئة وتكوين إنسان مسلم متكامل من جميع نواحيه المختلفة: من الناحية الصحية والاعتقادية والروحية والأخلاقية والإرادية والإبداعية في جميع مراحل نموه،في ضوء المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام وفي ضوء أساليب وطرق التربية التي بينها"(١)، ويعرّفها "عبد الرحمن النقيب" بأنها: "الجهد النظري والعملي المبذول والمخطط له لإيجاد إنسان القرآن والسنة القادر على تحقيق أهداف التربية الإسلامية من عمارة وعبودية واستخلاف، سواء بذل هذا الجهد في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، ودراسة هذا الجهد وتقويمه في ضوء الأهداف التربوية المستمدة من القرآن والسنة"(٢).

د- تعريف الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية

بعد تعريف وتوضيح أجزاء المركّب (الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية)، حيث تمّ تعريف كل من: الأصل، والأخلاق، والتربية الإسلامية، فإن صورة المركّب لا بد أن تكون واضحة بوضوح مفاهيمه التي يتكون منها كما تقدّم شرحها وبذلك، ويعرف الباحث **"الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية"** بأنه: **منظومة المرتكزات الأخلاقية التي تُبْنى عليها التربية الإسلامية، وتَسْتند إليْها في جانبيها النظري والتطبيقي** .

وهذه المرتكزات الأخلاقية تشكل قوام الأصل الأخلاقي وسيتم تحديدها وبناؤها وشرحها فيما سيأتي، بالاعتماد على التصور الإسلامي المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية للبنية المعرفية للأخلاق الإسلامية، حيث سيجتهد الباحث في جمعها في منظومة متكاملة وصياغتها على شكل مرتكزات لتكون بمجموعها حقيقة الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية الذي لا بد لها من أن تستند غليه في بنائها النظري وعملياتها

---

(١) يالجن، مقداد، جوانب التربية الإسلامية الأصليّة، ص ٢٦.

(٢) النقيب، عبد الرحمن، المنهجية الإسلامية في البحث التربوي نموذجاً، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٢٧.

التربويـة والتعليميـة، فالعمليـة التربويـة تـشتغل فـي إطـار توجيهـات الأصـول والمـصادر وتتحـرك ضمن مـا ترسـمه لهـا مـن مـسارات حاملـة معهـا طبيعـة تلـك الأصـول وقيمهـا وأحـكامها وأدلتها، ولا شـك أن من بين تلـك الأصـول الأصل الأخلاقي للتربيـة الإسـلامية، الـذي يـشكل الـروح القِيَمِيّـة للعمليـة التربويـة والقواعـد الـسلوكية لفعالياتهـا وأنـشطتها المختلفة.

* * *

المبحث الثاني: مرتكزات الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية

يهدف هذا المبحث إلى محاولة الوصول إلى قائمة من المرتكزات التي تشكل مجموعها بنية الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية، بحيث إذا ما أراد التربويون أعلاما ومؤسسات أن يطوروا العملية التربوية مستندين إلى أصول التربية الإسلامية فإنهم يجدون الأصل الأخلاقي واضح المعالم ومحدد القواعد من بين بقية الأصول. ويقصد الباحث بالمرتكز هنا مبدأ أو قاعدة أو مفهوم يدل على حقيقة أساسية في التصور الإسلامي للأخلاق. والباحث قد اتبع منهجية في دراسة أصول التربية الإسلامية تقوم على تشخيص الأصل وبيان حقيقته وتقديم بنيته عن طريق إعداد قائمة مرتكزات تعبر عن ذلك. وفيما يأتي عرض وتحليل لمرتكزات الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية حسب ما أدى إليه اجتهاد الباحث:

المرتكز الأول: مصدرية الوحي للأخلاق الإسلامية

المصدر في لغة العرب: خلاصة المعنى اللغوي للمصدر هو: منْشأ الشيء ومنْبع استمراره[1]. وأما اصطلاحاً: فقد عرفه بعض الباحثين بقوله: "المصادر: الأصول والمنابع التي يستمد منها المرء سعيه للوصول إلى الحق"[2]. وبناء على ما تقدم، فإن الباحث يُعرف "مصادر الأخلاق الإسلامية"، بأنها: منشأ الأخلاق ومنبعها الذي تُستمد منه، وتُقرر وتُعتمد من خلاله، وفقاً للتصور الإسلامي. فالحديث هنا عن مصادر الأخلاق الإسلامية تحديداً، أي: التي تنتمي إلى الإسلام وتحسب عليه، وبالتالي فلا بد أن يكون منشأ هذه الأخلاق ومنْبعها ومواطن استمرارها إسلامياً.

ووفقاً للتصور الإسلامي، فإن مصدرية نظم الإسلام كلها وتعاليمه، تتمثل بالوحي الإلهي، أصالة وابتداء، ثم قد يدور في فلك هذا المصدر الرئيس ما قد يعد مصادر أخرى،

---

(١) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص ٥٠٩.

(٢) العمرو، عبد الله، الأخلاق بين المدرستين السلفية والفلسفية، جامعة الإمام محمد بن سعود، ٢٠٠٦م، ص ١٢٥.

لكنها في النهاية تؤول إليه. وفيما يتعلق بالأخلاق الإسلامية، فإن مصدرها الرئيسي هو "الوحي"؛ متمثلاً بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية الشريفة. ومعنى ذلك: أن منشأ الأخلاق ومنبعها الذي تؤخذ وتستمد منه هو القرآن والسنة. فما قرره القرآن وما بينته السنة النبوية من أخلاق جملة أو تفصيلاً فإنها تعد أخلاقاً إسلامية، وتحسب على الإسلام وتضاف إليه، ويقال جزماً هذا أو ذاك خلق إسلامي، لأنه ثبت بالدليل في القرآن أو السنة.

يقول المودودي حول مصدرية الوحي للأخلاق: "النظام الأخلاقي في الإسلام يجعل الوحي المصدر الأوّلي للمعرفة الأخلاقية"[1]. ويشرح الشيباني جوانب هذه المعرفة الأخلاقية التي ينشئها مصدر الوحي ويتضمنها ويغطي مساحتها بشكل عام وذلك بما "تحتويه من مبادئ وقواعد ومثل وقيم خُلُقية، وأهم مصادر الإلزام الخلقي والضمير أو الوازع الخلقي، وأهم مصادر التحسين والتقبيح اللذين يتضمن أحدهما حكمنا الخلقي على فعل من الأفعال الإنسانية، وخير المصادر التي نستمد منها مقاييسنا الخلقية ونبني عليها أحكامنا الخلقية"[2].

والمطلوب عملياً منا إذا كنا نريد أن نعمل على بناء منظومة الأخلاق الإسلامية، "أن نستقصي ما تضمنه القرآن الكريم من آيات موجّهة للأخلاق بنوعيها الشخصي والاجتماعي ومؤسّسة لقواعدها وقوانينها، ونعزز ذلك بتتبع أحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وتوجيهات صحابته والعلماء الصالحين من أتباعه المتعلقة بموضوع الأخلاق، وإننا لواثقون أن الباحث المسلم سيجد في مصادر الشريعة الإسلامية، وعلى الأخص الكتاب والسنة، ما يكفيه لبناء نظرية أخلاقية شاملة كاملة تحقق مصلحة الفرد والمجتمع"[3]. وهذا يعد نوعاً من التوظيف والاستخدام الأمثل لمصدرية أخلاقنا الإسلامية

(١) المودودي، أبو الأعلى، منهج الحياة الإسلامية(د.ط)، ص٣٨.
(٢) الشيباني، عمر التومي، فلسفة التربية الإسلامية، الدار العربية للكتاب (د.ط)، ص٢٥١.
(٣) المرجع السابق، ص٢٥٦.

والمتمثلة بالكتاب والسنة، ذلك "أن القرآن الكريم والسنة النبوية هما مصدراً القيم والأخلاق في الإسلام"[1]، فلا بد من الصدور عنهما.

وفي سبيل الوقوف على جانب تطبيقي يوضح واقعية كون الوحي (القرآن والسنة) مصدراً للأخلاق الإسلامية، فإنه من المستحسن بيان ذلك بالأمثلة، يقول الصلابي موضحاً جانباً من هذا: "والأخلاق الإسلامية آداب ربانية: بمعنى أن الوحي الإلهي هو الذي وضع أصولها، وحدد سماتها التي لا بد منها لبيان سمات الشخصية الإسلامية، ولا غرو أن وجدنا القرآن الكريم ذاته يعتني ويهتم بتوضيح السمات الأساسية لخلق المسلم: من الإحسان بالوالدين، والإحسان بذوي القربى، ورعاية اليتيم، وإكرام الجار، والعناية بالفقراء، والصدق في القول، وغضّ الأبصار، والتواصي بالحق، والدعوة إلى الخير، وأداء الأمانة، واجتناب الموبقات، وأدب الجلوس، فضلاً عما زخرت به السنة من آداب تتعلق بالأكل والشرب، والنوم واليقظة، والسفر والعودة والتحية والاستئذان"[2]. ويقول باحث آخر في شيء من البيان المدعوم بالأدلة: "جاء في القرآن والسنة الدعوة إلى أصول الأخلاق، والإلزام بها، والتحذير من مخالفتها، وترتيب الثواب على فعلها، والعقاب على تركها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة: ١)، وقال عليه الصلاة والسلام: (إن المقسطين عند الله على منابر من نور: الذي يعدلون في حكمهم وما ولوا)"[3]، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث. على أن السنة قد جاءت بتفصيل القول في كثير من الفضائل الخلقية التي

---

(١) مكروم، عبد الودود، الأصول التربوية لبناء الشخصية المسلمة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ، ٢٤١.

(٢) الصّلابي، علي محمد، الوسطية في القرآن الكريم، دار النفائس، عمان، ط١، ١٩٩٩م، ص ٥٧٦-٥٧٧.

(٣) مسلم بن الحجاج النيسابوري، الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ط)، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، ح رقم (٣٤٠٦).

يحتاج الناس إلى بيانها وتفصيلها. فمن ذلك إكرام الضيف، ومن ذلك خلق الغضب"[1] وغيره كثير. والمقصود هنا تقديم ما يبين معنى مصدرية الوحي للأخلاق ويؤكد واقعيتها وكونها منبعاً تُستمدّ منه أخلاقنا، وذلك بضرب المثال وتسمية الخلق وتقديم الدليل عليه.

وإذا كان القرآن الكريم والسنة النبوية هما مصدر الأخلاق الإسلامية، فأين موقع العقل أو المجتمع من ذلك؟ وهل يمكن أن يكون المجتمع أو العقل مصدراً للأخلاق الإسلامية؟

ابتداء لا بد من التأكيد بأن محور الحديث في هذه الدراسة هو الأخلاق الإسلامية تحديداً، لا الأخلاق بشكل عام. وجانب النقاش يتعلق بالمصادر بالتحديد، وبما أن المقصود بمصادر الأخلاق الإسلامية المنشأ والمنبع الذي تُستقى منه، فلا بد أن تكون هذه المصادر تمثل الإسلام، وهي بلا شك القرآن والسنة. وعليه فلا يمكن أن يكون المجتمع (الناس) مصدراً مستقلاً يستمد منه المسلمون أخلاقهم الإسلامية، ولا كذلك العقل بصورة مستقلة؛ لأن دور المجتمع أن يطبق الأخلاق الإسلامية التي جاء بها الشرع، ودور العقل أن يفهمها ويحسن التعامل معها. والمؤكد، من وجهة نظر إسلامية، أنه إذا وُجِدت في مجتمع ما، أخلاق حميدة، فإن الإسلام يعترف بها ويقرها وبذلك تصبح إسلامية، ولا بد أن تجد لها في مصادر الأخلاق الإسلامية أصلاً ترجع إليه أو قاعدة عامة تندرج تحتها أو مقصداً شاملا ينطوي عليها.

لقد وجدت نظريات فلسفية غربية[2]. وكذلك دلّت الدراسات الفلسفية الأخلاقية[3]، أنّ هناك من تبنّى كون المجتمع أو العقل الإنساني هو مصدر الأخلاق، فما أقره المجتمع وأتفق عليه الناس وتعارفوا عليه يعدّ في نظرهم خُلُقاً، كل بحسب

(١) العمرو، الأخلاق بين مدرستين، ص ١٥١–١٥٣.

(٢) يالجن، مقداد، جوانب التربية الإسلامية، ص ٢٨٣–٢٨٦.

(٣) السيد، عزمي طه، الفلسفة: مدخل حديث، ص ٢١٤.

ظروفه وحاجاته، وعليه تكون الأخلاق مختلفة ومتغيرة من مجتمع لآخر[1]. وكذلك الواقع بالنسبة للعقل[2]، فالمتمعّن في قضية العقل البشري وتحليلها من جميع جوانبها، لا مفرّ له من الوصول بكل طمأنينة إلى الاقتناع بنقص الفكرة العقلية، وعجزها عن إرساء قواعد سليمة للقيم الأخلاقية؛ لأن العقول متفاوتة، وتفعل في إفرازها للقيم هذه تحت طائلة الأهواء والمصالح، ولأنها كذلك محدودة الإدراك[3].

والأصل في معتقد أهل السنة أنْ لا تعارض بين العقل الصريح والنقل الصحيح، وأن العقل تبع للشرع، ولذلك لا يمكن أن نطلق العنان للعقل الإنساني ليضع للأمة المسلمة أخلاقاً كما يشاء، فعند الأمة مصادرها الشرعية الكافية والشافية فيما يتعلق بموضوع الأخلاق– أو غيره–. والعقل يشكّل دعامة أساسية في التعامل مع النصوص الأخلاقية وفهمها وقبول كل خُلق يتوافق معها أوينْسجم مع روحها ومقاصدها، والمجتمع كذلك يشكل ميداناً رحباً لتطبيق هذه الأخلاق، وما قد يوجد فيه من عادات حميدة، فإن الشرع يقرها بما تضمنه من أصول أخلاقية تدعو إلى كل فضيلة، وترد كل رذيلة، وذلك كله وفقاً لميزان الشرع.

والدارس للأدب الأخلاقي عند العلماء المسلمين يجد حرصهم على تمثّل حدود المصدرية الإسلامية للأخلاق بشكل ملموس وواعي، كما هو الحال– على سبيل المثال– عند الإمام ابن القيم، فيقول أحد الباحثين في دراسته للقيم وللأخلاق عند ابن قيم الجوزية: "والقرآن الكريم هو أصل الأصول عند ابن القيم، والمصدر الأول والأساس للأحكام الشرعية عنده، سواء في مجال العقيدة أم العبادة أم الأخلاق والسلوك أم غيرها من المجالات، فلزِم نصوصه وعلمِ أحكامه، موقناً بأنه حجّة على كل مسلم

(١) إبراهيم، زكريا، المشكلة الأخلاقية، مكتبة مصر(د.ط)، ص ٧٨–٧٩.

(٢) يالجن، مقداد، جوانب التربية الإسلامية، ص ٢٨٤.

(٣) مسعود، عبد المجيد، القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر، كتاب الأمة، ط١، ١٩٩٩م، ص٨١–٨٣.

ومسلمة"[1]. ثم يضيف ما يؤكد ذلك عملياً، بقوله: "والمطلع على كتب ابن القيم، التي بين فيها قيم السلوك ومنازل السيْر إلى الله تعالى، أمثال: مدارج السالكين، وطريق الهجرتين، وروضة المحبين، يجدها ممتلئة بالآيات القرآنية الكريمة، فلا تكاد تخلو منها صفحة من صفحات كل كتاب من كتبه هذه، فقد استمد من هذه الآيات القرآنية الكثيرة ما انتهى إليه من تفصيلات مسائل قيم السلوك وأحكامها وحقائقها وأقسامها"[2]. وكذلك الحال بالنسبة للسنة النبوية المطهرة واستنباط القيم والأخلاق منها، فمثلاً لم يذكر ابن القيم في كتابه منازل السائرين منزلة إلا وقدم عليها الشواهد من السنة النبوية ما أمكنه ذلك[3]. والخلاصة أن اعتماد مرجعية القرآن والسنة أمر لازم ولا بديل عنه لكل من يريد أن يكتب أخلاقاً تمثل أخلاق الإسلام، وتعبر عن قيم الأمة المسلمة.

المرتكز الثاني: ثبات الأخلاق الإسلامية:

المقصود بمرتكز ثبات الأخلاق الإسلامية هو بالنسبة للأخلاق ذاتها لا إلى المتصف بها، وعليه فيكون المراد بثباتها: أنها قيم خالدة ومستقرة لا يطرأ عليها تغيير أو تبديل بمرور الزمان أو بتغير المكان، أو بتحول المجتمعات وتطور الحياة الإنسانية. فيكون هناك "استمرار الفضيلة الخلقية مستحسنة، والتسليم بها مثالاً للسلوك المحمود، فالصدق في المعاملة، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، كلها فضائل خلقية ثابتة مستقرة، ومحمودة في كل زمان ومع كل أحد"[4]، لا تستجيب لأي مؤثرات إنسانية أو مجتمعية تريد العمل على إضعاف قوتها أو قلقلة استقرارها.

---

(١) القوسي، مفرح، قيم السلوك مع الله عند ابن قيم الجوزية (الجزء الثاني)، كتاب الأمة، العدد ١٣٤، ١٤٣٠هـ، ص ٥٥.

(٢) المرجع السابق،ص ٥٦–٥٧.

(٣) المرجع السابق،ص ٦٧.

(٤) العمرو، عبد الله، الأخلاق بين المدرستين السلفية والفلسفية، ص ٢١٦.

وهذا الثبات في الأخلاق إنما هو بالنسبة للقيمة الخلقية ذاتها، كما تقدم، لا بالنسبة إلى الإنسان المتصف بها، لأن الناس تختلف في حملها للقيمة الخلقية الواحدة من شخص إلى آخر. فالتزامهم بها نسبي وليس ثابتاً بالوتيرة نفسها عند الكل- ولكن ليس هذا محل النقاش هنا، وأن كان مفيداً هذا التفريق- إنما مَحَلّ نقاشنا هنا هو خصائص الخلق ذاته، كقيمة مجردة، فهي بلا شك تتصف بالثبات كمرتكز أصيلة من خصائصها.

ويوضح الشيباني سر الثبات في الأخلاق بقوله: "فالمنهج الذي رسمه الإسلام للإنسان هو منهج عالمي خالد مساير للزمن، صالح لكل العصور، ومن ثم كان لا بد أن يتوفر له عنصر الثبات حتى لا يكون خاضعاً للتغيير والتبديل مع الهوى والشهوات"[1]. ولن يغير "الزمن في حركته أو المجتمع في تطوره من ثبات الأخلاق، وإنما تتغير العادات والتقاليد التي صنعها الإنسان نفسه لأنها تبلى وتفسد، أما القيم الأخلاقية العليا التي جاء بها الدين الحق، فإنها لا تتغير، لأنها في مواجهة خطة الإنسان التي لا تتغير، فهي من الثوابت القائمة التي تتحرك من حولها الأشياء والناس"[2]. وهناك جانب آخر يوضح سر الثبات في أخلاقنا الإسلامية، وهو أن الأخلاق تعد من القيم والأحكام التي جاء بها الوحي الإلهي، وذلك بنصوص صريحة وواضحة، وهذا بلا شك يكفل لها مرتكز الثبات الذي لا يعتريه التغيير، لأنها قيم من جهة، والقيم تشكل حقائق ثابتة للأمة المسلمة، تصاغ عليها الأجيال وتربى عليها في جميع مراحل تكونها، ولأنها من جهة أخرى أحكام مدعومة بنصوص شرعية، وهذه النصوص خالدة، وخاتمة لكل النصوص الدينية السابقة، لا مجال لنصوص أخرى تأتي لتنسخها.

ويمكن توضيح مرتكز ثبات "الخلق الإسلامي"، من خلال ضرب المثالين الآتيين:

---

(١) الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، ص ٢٤٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٤٣، أشار مؤلف الكتاب إلى أن هذا الكلام للأستاذ أنور الجنيدي.

المثال الأول: خلق "الأمانة". فهذا الخلق يتصف في ديننا الإسلامي بأنه خلق ثابت بمعنى أن خلق الأمانة سيبقى أحد القيم الأخلاقية التي تنتمي إلى الإسلام على طول الزمان، منذ بدء البعثة النبوية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلا يمكن أن يأتي وقت أو عصر يتم فيه تغيير الموقف من هذا الخلق وعدّه خلقاً تراثياً قد عفى عليه الزمن، فهذا مرفوض تماماً، لأن خلق الأمانة يتصف بمرتكز الثبات التي يتصف بها النص الشرعي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ (النساء: ٥٨)، وقال صلى الله عليه وسلم: (أدّ الأمانة إلى من ائتمنك)[1]. وأمّا اتصاف المسلمين بخلق الأمانة فهو واجب ثابت عليهم في كل زمان، لكن تقيّدهم به عملياً يختلف من شخص إلى آخر، فهنا يقال إن التزامهم بخلق الأمانة بأنه نسبي.

المثال الثاني: خلق "البر بالوالدين". فهذا خلق إسلامي أصيل، وثابت وقائم ما قامت شريعة الله في الأرض إلى قيام الساعة، ولا يمكن بحال أن تهتز مكانته من منظومة القيم الأخلاقية الإسلامية بحجة تطور المجتمعات أو تغير تركيبة الأسرة ومفاهيمها، كما هو الحال في الحضارة الغربية، فقد مر عليها زمن كانت للأخلاق الأسرية، ومنها بر الولدين، مكانة في مجتمعاتهم واحترام، وكانت تشكل قيمة أساسية، أما في القرون المعاصرة، ومع تغير طبيعة مجتمعاتهم والفلسفات التي تحكم حياتهم وتيارات العولمة، فقد أصبحت الأخلاق الأسرية، ومنها خلق بر الوالدين، من الأخلاق الهامشية في واقعهم الاجتماعي وعلى سلّم اهتماماتهم المادية الطاغية، بسبب الحضارة المادية التي سيطرت على قيمهم كلها ومنها الأخلاقية والأسرية وأصابتها بداء "النسبية"[2]،

---

(١) أبو داود، سليمان بن الأشعث، السنن، تحقيق: محمد محي الدين، دار الفكر (د.ط)، باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده، ح رقم (٣٥٣٦)، وقال الألباني: صحيح.

(٢) مبدأ نسبية الحقيقة، أو المذهب النسبي، هو مذهب ظهر لأول مرة في القرن الخامس قبل الميلاد، ويقول بأن الصحيح والمغلوط والجيد والرديء ليس صفات مطلقة، ولكنها تبع للظروف وهو مذهب يتناسب ونظرية التطور التي ترى أن كل شيء يتغير وكل شيء يتبدل وأن الأشياء في حالة سيلان مستمر. فؤاد، النسبية، مجلة البيان، العدد (١٣)، ص ١٠٤.

وأصبح خلق "برّ الوالدين" كغيره من الأخلاق ينظر إليه على أنه من القضايا والمواقف الشخصية في مجتمعاتهم.

المرتكز الثالث: فطرية الأخلاق الإسلامية:

المقصود بمرتكز "فطرية الأخلاق الإسلامية"، هو كون الأخلاق التي جاء بها الإسلام، موافقة للفطرة الإنسانية التي خلق الله عليها الإنسان. والأصل في هذه المرتكز، أن كل ما جاء به الإسلام بالجملة من التشريعات، هي متوافقة مع فطرة الإنسان، لكون الذي أنزل الشرع هو الله، والذي خلق الفطرة في النفس الإنسانية هو الله تعالى، والذي كلّف النفس الإنسانية بهذه التشريعات هو الله تعالى، وبالتالي لا بد أن تكون هذه التشريعات مع اتجاه هذه الفطرة لا مضادة أو مناقضة لها. وهذا ينطبق على مجموعة التشريعات المتعلقة بالنظام الأخلاقي. فقد جاءت القيم الأخلاقية المأمور بها في القرآن والسنة موافقة تماماً للفطرة التي فطر الله الناس عليها. فقيم العدل والصدق والإحسان إلى الجار والتعاون على البر ورفض الغدر والخيانة وغيرها، تجد أنها قيماً أخلاقية ممدوحة لدى جميع الناس أصحاب العقول السليمة وما ذلك إلا لأن فطرهم النقية تجمع على ذلك.

ومن مظاهر مرتكز فِطْرية الأخلاق الإسلامية "المعرفة الفطرية بأصول الأخلاق، واستعداد النفوس لقبولها، والأخذ بها، ومن حيث استحسان الفطرة لمكارم الأخلاق ورغبتها في الاستقامة عليها، وميلها إليها، ومحبتها لها. ومن مظاهر الصلة بين الفطرة والأخلاق، إقرار الإسلام للأخلاق الفطرية على اختلافها مع تهذيبها وتوجيهها الوجهة السليمة، لتكون عاقبتها خيّرة على الفرد وعلى مجتمعه. فمن ذلك أن الغضب والغلظة والشدة، التي هي من الصفات الفطرية، ليست في كلّ حال بل مأمور بها في مواطنها الصحيحة"[1].

(١) العمرو، الأخلاق بين المدرستين السلفية والفلسفية، ص ٢١٨–٢١٩.

المرتكز الرابع: شمولية الأخلاق الإسلامية:

يعد مرتكز شمول الأخلاق الإسلامية مرتكزا أساسيا وضروريا لأنه يعبر عن أحد أكبر خصائص النظام الإسلامي، وهي خاصية الشمول، وهي التي أكسبت النظام الأخلاقي في الإسلام والقيم الأخلاقية الإسلامية مرتكز الشمول، ولا بد في تصورنا الإسلامي من أن ينطبع كل نظام من أنظمة الإسلام بخصائصه العامة، ولكن ضمن محددات ومجالات كل نظام، حتى تكون هذه الأنظمة تعبيراً صادقاً عن الإسلام باعتباره منهجاً شاملاً للحياة الإنسانية على الأرض. ووفقاً لما يراه الباحث، فإنه يمكن إظهار صدق مرتكز شمول الأخلاق الإسلامية، والتعبير عنها من خلال ارتسامه ضمن ثلاث مجالات، هي كالآتي:

الأول: شمولية الأخلاق الإسلامية للكينونة الإنسانية: والمراد بذلك أننا إذا نظرنا في قائمة الأخلاق التي جاء بها الإسلام نجد أنها متصلة بجميع جوانب الكينونة الإنسانية؛ أي مكونات الشخصية الإنسانية– ومعلوم أن الشخصية الإنسانية تتكون من ظاهر وباطن، أو من عقل وقلب وجسم– فهناك أخلاق تتصل بباطن الإنسان، مثل: محبة الله، والرضا بقضائه، والخوف والرجاء، والبعد عن الغلّ والحقد، والإخلاص وغير ذلك، وهناك أخلاق تتصل بظاهر الإنسان، مثل: صدق اللسان، وغض البصر، وحفظ الفرج، وغير ذلك، والخلاصة أن لكل مكونات الإنسان المسلم من عواطف وعقل وجوارح أو ظاهر أو باطن حظّها من قائمة الأخلاق الإسلامية الطويلة.

الثاني: شمول الأخلاق لمختلف علاقات الإنسان: والمراد بهذه المرتكز، أن الأخلاق التي جاء بها الإسلام تتوزع على جميع العلاقات التي يمكن أن يقيمها الإنسان المسلم مع أي طرف آخر. يقول الأسمر: "والإسلام لا يقصر الشمول الأخلاقي على بني الإنسان، وإنما يمده ليشمل كل مخلوقات الله، فالمسلم صاحب خلق رفيع وسلوك أخلاقي ملتزم مع الإنسان وغير الإنسان، فالرحمة مطلوبة للإنسان والحيوان، والغلظة والقسوة

والعنف مرفوض لكليهما"[1]. ويمكن توضيح الامتدادات لعلاقات الإنسان الأخلاقية بالمظاهر الآتية:

- علاقة الإنسان الأخلاقية بخالقه سبحانه وتعالى؛ حيث يلتزم المسلم بالأدب مع الله تعالى في سره وعَلَنِه، وفي تنفيذه لأوامره وتركه لنواهيه، وفي محبته لخالقه سبحانه واستشعاره لإحسانه عليه، وفي شكره لنعمه وغير ذلك.
- علاقة الإنسان الأخلاقية بنفسه، فيسعى لإعزاز نفسه لا إهانتها، ولتكليفها ما تطيقه، ولجعلها سباقة للخيرات، ولحفظها من كل المهالك، ولإظهارها بالمظهر الجمالي اللائق، وغير ذلك من الأخلاق التي جاء بها الإسلام ليراعيها المسلم تجاه نفسه.
- علاقة الإنسان الأخلاقية بأخيه الإنسان، وهذه ميدانها واسع من مثل: خلق الكرم، وحسن الضيافة، وأداء الأمانة وغيرها كثير.
- علاقة الإنسان الأخلاقية بعالم الحيوانات وقد جاءت نصوص عامة في الإحسان إلى الحيوانات غير المؤذية، ونصوص أخرى محدّدة تحمل قيماً أخلاقية سامية وتوجيهات أدبية رائعة وواقعية تجاه الحيوانات، كما في أخلاقيات الصيد، والذبح، والتحميل على الحيوان، وضربه، وخطورة منعه من الطعام والشراب، كما في قصة المرأة التي حبست هرة حتى ماتت، فكان هذا سبباً في دخولها النار، وبالمقابل تدخل امرأة بغي الجنة لسقائها كلباً كاد العطش يقتله[2].
- علاقة الإنسان الأخلاقية بمرافق الكون وبيئته؛ من مثل الحفاظ على نظافة الأماكن العامة، حيث جاء النهي عن البول في الأماكن التي يتجمع فيها الناس أو يستريحون، وإماطة الأذى عن الطريق، وعدم البول في الماء الراكد، والترغيب

---

(١) الأسمر، أحمد رجب، النبيّ المربي، دار الفرقان، ط١، ٢٠٠١م، ص ٢٥٨.

(٢) ينظر تفاصيل رواية هذه الأحاديث في: البخاري، الصحيح، باي فضل سقي الماء، ح رقم(٢١٩٢)، وح رقم(٢١٩٠).

بدفع كل ما من شان أن يكون مضراً في ممرات المسلمين وطرقهم، كما في قصة ذاك الرجل صاحب الخلق الإنساني الجميل، الذي مر بطريق فوجد غصن شجرة يضايق المارة، فقطعه، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم يتفيأ ظلاله في الجنة[1].

- علاقة الإنسان الأخلاقية بعوالم الغيب وتتمثل هذه العلاقة الأخلاقية تحديداً بعلاقة المسلم مع عالم الملائكة ومع عالم الجن كذلك؛ فيتأدب المسلم مع عالم الملائكة فلا يؤذيهم بما يتأذون به كرائحة الثوم والبصل في المسجد، ويتأدب كذلك مع عالم الجن المؤمن، بأن يذكر اسم الله على طعامه من اللحم، ليعود أوفر ما كان لحماً، لأنه طعامهم إن ذكر اسم الله عليه كما أخبرنا بذلك رسولنا صلى الله عليه وسلم.

ولعله من المناسب أن يختم هذا البيان في هذه الشمولية الأخلاقية لمختلف علاقات الإنسان المسلم بغيره وفقاً للتصور الإسلامي بكلام يظهر مزية أخلاقنا الإسلامية في هذه النقطة تحديداً عن سائر النظرات الوضعية وحتى الدينية منها، وهذا الكلام هو للباحث الإسلامي مقداد بالجن، حيث يقول: "يوسع الإسلام دائرة العلاقات الأخلاقية، فلا تقتصر الأخلاق على علاقة الإنسان بأخيه الإنسان كما يدعو إلى ذلك الاتجاه الأخلاقي الوضعي والكانطي– نِسْبة إلى كانط–. ولا تقتصر كذلك على العلاقة بين الإنسان وبين الله كما يدعو إلى ذلك بعض الديانات القديمة، بل يدخل في إطار هذه العلاقة الأخلاقية علاقة الإنسان بالإنسان وبالحيوان وبالله أيضاً"[2]. طبعاً ويضاف إليها كذلك بالبيئة وبعوالم الغيب.

---

(١)ينظر تفاصيل رواية هذه الأحاديث في: مسلم، الصحيح، باب النهي عن البول في الماء الراكد، ح رقم(٦٨١)، وباب فضل إزالة الذى عن الطريق، ح رقم(٦٨٣٥).

(٢) بالجن، مقداد، جوانب التربية الإسلامية، ص ٢٨٧.

الثالث: شمول الأخلاق الإسلامية لمجالات الحياة: وهذه زاوية أخرى تتجلى فيها مظاهر الشمولية للأخلاق التي جاء بها الإسلام، حيث تتوزع قائمتها الأخلاقية الكبيرة لتغطي جميع مجالات الحياة وميادين تفاعل المسلم ونشاطه. يقول الشيباني: "إن النظام الأخلاقي الإسلامي يجمع القانون الأخلاقي كله، ويتسع نطاق الأخلاق فيه ليشمل الأخلاق النظرية والأخلاق العملية، وما يدخل تحت الأخلاق العملية من أخلاق فردية، وأخلاق أسرية، وأخلاق اجتماعية، وأخلاق اقتصادية، وأخلاق سياسية، وأخلاق عملية، وغيرها"[1].

ويقدم مقداد يالجن خريطة مواقع، يوضح هذه النوع من الشمولية بالمثال، إذ يقول: "بلغت هذه الأخلاق من التكامل والصلاحية حدا مثالياً، ذلك أنها تحتضن جميع الفضائل الإنسانية، والأعمال الخيرة لصالح الفرد والمجتمع ففي ميدان احترام الإنسان، تدعو إلى احترام جميع الحقوق الطبيعية للإنسان، كما تدعو إلى المحبة والمودة بين الناس، وفي ميدان المعاملة، تدعو إلى احترام العقود وأداء الأمانات، وتنهي عن الغش والكذب. وفي ميدان السياسة والحكم، تدعو هذه الأخلاق الكريمة إلى احترام العهود وإلى الحكم بالعدل، وتنهى عن الغدر والتسلط. وفي ميدان الاقتصاد، تدعو إلى العمل الجاد والإتقان وعدم التبذير. وفي ميدان العلم، تدعو إلى التعلم والتعليم، كما تنفر من الجهل، وهكذا جاء الإسلام بأكمل الأخلاق وأصلحها"[2]. في كل ميدان من النفس والحياة والتديّن.

وبهذا التفصيل لهذه المجالات الثلاثة لشمولية الأخلاق في الإسلام، يتأكد لدينا أهمية هذا المرتكز، وكونه يمثل ختماً إسلامياً ثابتاً لطبيعة أخلاقنا الإسلامية، التي تستحق فعلاً أن تكون منهاج حياتنا.

---

(١) الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، ص ٢٣٢.

(٢) يالجن، مقداد، جوانب التربية الإسلامية، ص ٢٨٨–٢٩٠.

المرتكز الخامس: واقعية الأخلاق الإسلامية

يكاد يتفق الباحثون في مجال الأخلاق الإسلامية على أن المراد بالواقعية باعتبارها مرتكزا من مرتكزات الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية، مراعاة الخلق الإسلامي لإمكانات الإنسان وطاقاته وفطرته[1]. ويمكن إعطاء مرتكز الواقعية الذي تتصف به أخلاقنا الإسلامية بعدين رئيسين:

البعد الأول: واقعية النظام الأخلاقي في الإسلام، بمعنى أن التشريعات الإسلامية في مجال الأخلاق، هي تشريعات واقعية، يمكن تطبيقها وتنفيذها على أرض الواقع فهي ليست مثاليات مجردة، يكون الحديث فيها عن أخلاق سامية يصعب أن تمارس ويستحيل أن تصبح واقعاً اجتماعياً، بل يمكن وبكل يسر تحويلها إلى وقائع ظاهرة وفاعلة ومعيشة، وهذا هو شأن أنظمة الإسلام وشرائعه كلها.

البعد الثاني: تماشي الأخلاق الإسلامية مع إمكانات النفس الإنسانية وتجاوبها مع فطرتها، فالتكليف بأي خلق من أخلاق الإسلام يكون بصورة طبيعية تنسجم مع قدرات المسلم وطاقاته وغرائزه. بحيث يكون في مقدوره الاتصاف بهذا الخلق وتحقيق المطلوب منه فيه، دون أن يؤدي هذا إلى إنهاك جسدي أو صدمة نفسية.

فمثلاً حينما يدعو الإسلام إلى خلق الإحسان إلى الجار، فإن تطبيق هذا الخلق في الحياة الإنسانية وعلى أرض الواقع أمر ممكن وليس مستحيلاً، وهو يتماشى مع وُسْع الإنسان وطاقاته، إذ يحسن إلى جاره، مادياً أو معنوياً ضمن ما يقدر عليه، وهذا الإحسان إلى الجار أمر تؤيده الفطرة السليمة وتميل إليه.

المرتكز السادس: نَسَقِيّة الأخلاق والعقيدة

يتضح مرتكز نسقية الأخلاق والعقيدة من خلال ذلك الفيض من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تربط بين حقائق الإيمان وأصول الأخلاق، وبين آثار الإيمان واستقامة الأخلاق، وبين دافعية الإيمان والتمسك بالأخلاق، وبين كمال الأخلاق

(١) الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، ص ٢٣٧.

وكمال الإيمان، وغير ذلك من النصوص الشرعية البيّنة التي قدمت لنا ربطا محكما بين الخلق والإيمان "فكم آية قرنت بين التوحيد والإيمان من جهة، وبين أنواع من الأخلاق من جهة أخرى، كالإحسان في قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾ (النساء:٣٦)، يقول السعدي في تفسيره: "يأمر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له، وينهى عن الشرك به شيئا لا شركا أصغر ولا أكبر. ثم بعد ما أمر بعبادته والقيام بحقه أمر بالقيام بحقوق العباد الأقرب فالأقرب. فقال: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي: أحسنوا إليهم بالقول الكريم والخطاب اللطيف والفعل الجميل"[1]، وكالبرّ في قوله تعالى:﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٧٧)"[2]، ويقول السعدي تعليقا على ختام اللآية" ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: المتصفون بما ذكر من العقائد الحسنة، والأعمال التي هي آثار الإيمان، وبرهانه ونوره، والأخلاق التي هي جمال الإنسان وحقيقة الإنسانية، فأولئك هم ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في إيمانهم، لأن أعمالهم صدقت إيمانهم، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ لأنهم تركوا المحظور، وفعلوا المأمور؛ لأن هذه الأمور مشتملة على كل خصال الخير، تضمنا ولزوما، لأن الوفاء بالعهد، يدخل فيه الدين كله، ولأن العبادات المنصوص عليها في هذه الآية أكبر العبادات، ومن قام بها، كان بما سواها أقوم، فهؤلاء هم الأبرار الصادقون المتقون"[3]، ويقول الصلابي: "إن علاقة الأخلاق

---

(١) السعدي، عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٤هـ، ص١٧٧.

(٢) زمزمي، المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم، ص ١٥.

(٣) السعدي، عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن، ص٨٣.

بالعقيدة واضحة في كتاب الله، وقد بين سبحانه وتعالى الأخلاقيات الإيمانية التي ينبغي أن يكون عليها المؤمنون بلا إله إلا الله والأخلاقيات الجاهلية التي ينبغي أن ينبذها المؤمنون"[1].

ومما جاء في القرآن الكريم مما فيه "ربط الأخلاق بالعقيدة، قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون:١-١١)، فالسورة تبدأ بتقرير الفلاح للمؤمنين بهذا التوكيد: (قد أفلح المؤمنون)، ثم تصف هؤلاء المؤمنين بذلك الوصف المطوّل المفصل الذي يعنى بإبراز الجانب الخلقي لأولئك المؤمنين موحياً إيحاء واضحاً أن هذه الأخلاقيات من جهة هي ثمرة الإيمان، وأن الإيمان- من جهة أخرى- هو سلوك ملموس يترجم عن العقيدة المكنونة"[2]، وفي هذه الآيات "هذا تنويه من الله، بذكر عباده المؤمنين، وذكر فلاحهم وسعادتهم، وبأي: شيء وصلوا إلى ذلك، وفي ضمن ذلك، الحث على الاتصاف بصفاتهم، والترغيب فيها. فليزن العبد نفسه وغيره على هذه الآيات، يعرف بذلك ما معه وما مع غيره من الإيمان، زيادةً ونقصاً، كثرة وقلّة"[3].

وكذلك الحال في السنة النبوية حيث جاءت الأحاديث الكثيرة تؤكد صلة الأخلاق بالعقيدة، يقول حبنكة: "جعل الرسول صلى الله عليه وسلم الحياء شعبة من الإيمان، وهو من مكارم الأخلاق، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وسبعون

(١) الصلابي، علي، الوسطية في القرآن، ص ٥٨٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٨٩.

(٣) السعدي، عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن، ص٥٤٧.

شعبة.... والحياء من الإيمان)[1]. وفضائل الأخلاق وما تقتضيه من سلوك أمور يوجبها الإيمان، ولذلك جاء في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً)[2]. فالرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث يبين الترابط بين الإيمان وحسن الخلق"[3]. وتظهر جوانب محددة من صلة الأخلاق بالعقيدة من كون الخلق الحسن في الإسلام يحقق صفة محبة الله لصاحبه، لقوله صلى الله عليه وسلم حينما سئل: من أحب عباد الله إلى الله تعالى؟ (قال: أحسنهم خلقاً)[4]، ومن كون حسن الخلق يؤثر إيجاباً في نتيجة المؤمن يوم القيامة، ومكانته، لقوله صلى الله عليه وسلم: (ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن)[5]. ولقوله صلى الله عليه وسلم: (ألا أخبركم بأحبكم إلي، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة؟ قال: أحسنكم خلقاً)[6]. وتظهر جوانب هذه الصلة كذلك، من فهم الوجه المضاد لها، حيث يؤثر الخلق السّيء على العقيدة، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: (أربع مَنْ كُنّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)[7]. هذا الحديث استوقف محمد قطب كثيراً كما يقول: "استوقفني لأن النفاق قضية متعلقة بالعقيدة، والكذب والغدر

---

(١) مسلم، الصحيح، باب شعب الإيمان، ح رقم (١٦١).

(٢) أبو داود، السنن، باب الدليل على زيادة الإيمان، ح رقم (٤٦٨٤).

(٣) حبنكة، عبد الرحمن، الوجيز في الأخلاق الإسلامية وأسسها، مؤسسة الرّيان، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ص ٢٦-٢٧.

(٤) الطبراني، سليمان، المعجم الكبير(د.ط)، ح رقم (٤٧٣)، وابن حبان، محمد، صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة(د.ط)، ح رقم (٤٨٦) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٥) الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح (السنن)، تحقيق: أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ط)، كتا البر والصلة، باب حسن الخلق، ح رقم (٢٠٠٣)، وقال الألباني: صحيح.

(٦) المرجع السابق، باب معالي الأخلاق، ح رقم(٢٠١٨)، وقال الألباني: صحيح.

(٧) ابن حنبل، أحمد، المسند، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م، ح رقم (٧٠٣٥) وقال شعيب الأرنؤوط: حسن.

وخلف الوعد والفجور في الخصومة، قضايا أخلاقية، سبحان الله! كيف يتصور قوم إذن أن الأخلاق لا صلة لها بالعقيدة"[1]. ووجه كلامه هذا هو الربط بين الأخلاق وسلامة الإيمان من حيث أن بعض الخصال المذمومة من الأخلاق قد تهدد صحة هذا الإيمان وتضعف عقيدة صاحبها وتنقله من موصف المؤمن إلى وصف النافق. وعليه فلا يتصور إنكار العلاقة بين الخلاق والعقيدة. فهذه النماذج المحدودة من النصوص الشرعية الكثيرة، تؤكد صلة الأخلاق بالعقيدة وبالإيمان في تصورنا الإسلامي وهي صلة في الجذور كما في الفروع.

المرتكز السابع: إلزامية الأخلاق الإسلامية

يقول "دراز": حول فكرة الإلزام الخلقي وأهميتها: "يستند أي مذهب أخلاقي على فكرة الإلزام، فهو القاعدة الأساسية والمدار والعنصر النووي الذي يدور حوله كل النظام الأخلاقي، والذي يؤدي فقده إلى سحق جوهر الحكمة العملية ذاتها، وفناء ماهيتها، ذلك أنه إذا لم يعد هناك إلزام فلن تكون هناك مسؤولية، وإذا عدمت المسؤولية، فلا يمكن أن تعود العدالة؛ وحينئذ تنفشي الفوضى، ويفسد النظام، وتعم الهمجية"[2]. وهذه معادلة واقعية، لأن "أي حكم أو أمر أو قرار، صادر عن جهة ما، لا تصاحبه قوة إلزام تنفيذية– داخلية أو خارجية– لا يتأتى تحقيق تنفيذه– جزئياً أو كلياً– وبالتالي يفقد إمكانية تحقيق الأهداف المتوخّاة منه، وينسحب الأمر على الحكم الخلقي"[3]. وعليه فمن "الأهمية بمكان أن تدرك أنه لا قيمة لأي مبادئ وقواعد خلقية إذا لم تتضمن إلزام الناس باتباعها والالتزام بتنفيذها والعمل بمقتضاها"[4].

ومن الكلام المتقدم حول فكرة الإلزام وأهميتها، يظهر لنا أن الإلزام يفهم تحت تساؤل مفاده: "ما القوة التي تؤثر في إرادة الإنسان فتوجهها نحو الخير، وتجعلها

(١) قطب، محمد، لا إله إلا الله: عقيدة وشريعة ومنهاج حياة، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م ، ص ٧٧.
(٢) دراز، محمد عبد الله، دستور الأخلاق في القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٩٨٧م، ص٢١.
(٣) الأسمر، أحمد رجب، مكارم الأخلاق في الإسلام، دار الفرقان، عمان، ط١، ٢٠٠٨م، ص ٢٣.
(٤) الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، ص ٢٦٠.

تختاره؟ بلفظ آخر: ما الذي يجعل الإنسان ملتزماً بفعل الخير"[1] ومن هنا عرف بعض الباحثين الإلزام بأنه: "تكليف ممن هو قادر على الأمر والنهي، ثم مجازاة للمكلف على موقفه من ذلك التكليف"[2]. وفي مجال الأخلاق تحديداً، فإن الإلزام الخلقي هو: "أمر بالفضيلة الخلقية، بمعنى: وضع تشريع خلقي، وتكليف الإنسان الأخذ به والعمل بمقتضاه، مع مسؤوليته عن هذا التكليف، وجزاء متوافق مع موقفه منه"[3].ويرى بعض الباحثين أنه مهما تباينت الآراء حول مفهوم الإلزام الخلقي، "فإنها تلتقي على كلمة واحدة هي: تقدير القيم الخلقية، والدعوة إلى امتثالها عن إدراك أهميتها وضرورتها حسب ما يمليه المصدر الذي اختلفت هذه الاتجاهات حول تجديده"[4].

ويمكن للباحث أن يقدم تعريفاً محدداً للإلزام الخلقي بأنه: "القوة أو الجهة التي تفرض على الإنسان الأخذ بالأخلاق والتقيد بها".

وينشأ عن تعريف الإلزام الخلقي هذا أو غيره، سؤال منطقي، هو: ما تلك القوة، أو الجهة الملزمة بتلك الأخلاق؟ وهو ما يعرف عند الباحثين في مجال الأخلاق وفلسفتها بمصادر أو مصدر الإلزام الخلقي. والإجابة المنطقية التي يؤدي إليها التعريف العام للإلزام الخلقي هي: أن مصدر الإلزام هذا يختلف باختلاف الفلسفة العامة أو الدائرة الفكرية الكبرى التي تنتمي إليها الأخلاق. هل هي دائرة دينية أم وضعية؟ ومن هنا تعددت الآراء في تحديد مصدر الإلزام الخلقي.

وبناء على ما تقدم، فهناك من يرى أن الحاجة إلى السعادة هي مصدر الإلزام الخلقي، وهناك من يرى أنه رغبة الإنسان في تكميل ذاته، وهناك من يرى بأنه العقل، وهناك من يرى بأنه الضمير، وهناك من يرى بأنه المجتمع، وهناك من يرى بأنه القوانين

---

(١) السيد، عزمي طه، الفلسفة: مدخل حديث، ص٢٢٣.

(٢) العمرو، الأخلاق بين المدرستين السلفية والفلسفية، ص ٢٦٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٦٠.

(٤) الحليبي، المسؤولية الخلقية، ص ٣٥.

السائدة في المجتمع، وهناك من يرى بأنه الدين[1]. ويقول دراز حول بعض آراء الباحثين في مصادر الإلزام الخلقي: "استطاع الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون في تحليله العميق لقضية الإلزام الأخلاقي أن يكشف له عن مصدرين: أحدهما: قوة الضغط الاجتماعي، والآخر: قوة الجذب ذي الرحابة الإنسانية المستمدة من العوْن الإلهي، وهي قوة أوسع مدى من سابقتها"[2]. وفي تحديد مذهبي لمصادر الإلزام الخلقي، يبين بعض الباحثين، بأن العقليين قد ذهبوا إلى أن العقل هو القوة الموجهة للناس والملزمة لهم بالفضيلة، وأن الحدسيين قد جعلوا الضمير منبع الإلزام بالفضيلة الخلقية، وأن أنصار المذهب الوضعي ذهبوا إلى أن المجتمع أو العرف الاجتماعي، هو الملزم للأفراد بالفضيلة[3].

والخلاصة أن الآراء تنقسم إلى قسمين: الأول منها، يرى أن مصدر الإلزام الخلقي سلطة خارج الإنسان هي: الدين أو المجتمع أو القانون، والثاني يرى أن مصدر الإلزام الخلقي هو الإنسان، مع اختلاف في تحديده، هل هو العقل أو اللذة والمنفعة أو الضمير؟[4].

وفي التصور الإسلامي، يتفق الباحثون في مجال الأخلاق الإسلامية، على أن المصدر الأساسي للإلزام الخلقي هو الله سبحانه وتعالى، فهو الحاكم والمشرع، وهو الذي أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم وأنزل كتابه قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ٥٤﴾ (الأعراف: ٥٤)، ومهما تنوعت عبارات الباحثين المسلمين في هذا المجال سواء بقولهم بأن مصدر الإلزام هو الدين أم الشرع، أم القرآن والسنة أم الإيمان والعقيدة، أو غيرها من مفردات الإلزام، فإنها ترجع في نهاية المطاف إلى الأصل الذي تقدم، وهو الله المشرع والحكم

(١) السيد، عزمي طه، فلسفة: مدخل حديث، ص ٢٣٣.

(٢) دراز، دستور الأخلاق في القرآن، ص ٢٣.

(٣) العمرو، الأخلاق بين المدرستين السلفية والفلسفية، ص٢٦٢.

(٤) الحليبي، المسؤولية الخلقية، ص ٣٥.

سبحانه وتعالى، سواء بطريق مباشر كقولنا الكتاب والسنة أم بطريق الإقرار والتضمن كقولنا الاجتهاد والضمير[1]. يقول الشيباني: "وفي نظر المسلم أن المصدر الأول والمصدر الحقيقي للإلزام الخلقي هو الدين"[2]. ويقول دراز في تحليل عميق لفكرة الإلزام الخلقي: "إذا كان النُوران: الفطري والموحَى، ينبثقان من مصدر واحد فحسب، فيجب أن نخرج أخيراً بأنه الله سبحانه هو الذي يرشدنا دائماً إلى واجبنا، ما ظهر منه وما بطن، فلا ينبغي أن يكون لدينا سوى سلطة تشريعية واحدة بالمعنى الصحيح، والقرآن ذاته لا يفتأ يؤكد لنا هذه الفكرة في كثير من آياته، قال تعالى:﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ ﴾ (الأنعام: ٥٧) وقال تعالى: ﴿أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ ﴾ (الأنعام: ٦٢) وقال تعالى: ﴿ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ (الرعد: ٤١)"[3].

وتمتاز مصدرية الإلزام الخلقي بالتصور الإسلامي بالأصوب والأسلم، وبالأقوى فاعلية والأكثر تأثيراً، لا لأن مصادر الإلزام الأخرى غير صحيحة بشكل قطعي وكلي، بل لأن أيا منها لا يمكن أن يكون وحده هو الصواب والكافي، ولا كذلك لأن الإسلام يرفضها جملة وتفصيلاً، بل هو يعترف بها لكن ليس بصورة مستقلة بل تابعة للشرع.

وقد قام بعض الباحثين بمناقشة جوانب تلك الآراء العامة في مصادر الإلزام الخلقي، بالصورة الآتية: "بالنسبة للرأي الذي يقول إن الحاجة إلى السعادة هي مصدر الإلزام الخلقي، نقول: قد يتفق الناس على القول بأن السعادة هي غاية كل إنسان، ولكنهم لم يتفقوا على مفهوم السعادة وما الذي يجعل المرء سعيداً. وبالنسبة للرأي الذي يقول: إن عقل الإنسان هو الذي يلزمه فعل الخير، نقول: إن للعقل دوراً هاماً في الإلزام الخلقي، لكن العقل قد يبرر للإنسان في بعض الأحيان فعل الشر. أما الرأي الذي

---

(١) ينظر آراء الباحثين هذه في: دراز، دستور الأخلاق في الأخلاق، ص ٢١-٣٦، والأسمر، مكارم الأخلاق، ص ٢٣-٣٠، ومكروم الأصول التربوية لبناء الشخصية، ص ٢٤٩-٢٥٥، والحليبي، المسؤولية الخلقية، ص٣٢-٤٧، عفيفي، محمد ، النظرية الخلقية عند ابن تيمية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٩٨٨م،ص ٨٠-٨٦.

(٢) الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، ص ٢٦١.

(٣) دراز، دستور الأخلاق في القرآن، ص ٣٦.

يقول: إن الضمير هو الذي يلزمنا فعل الخير، لكننا نقول هنا أيضاً: إن البيئة تؤثر في تشكيل الضمير. وللرأي الذي يقول: إن سلطان المجتمع هو الذي يلزم الإنسان فعل الخير، نقول: لا شك أن للمجتمع سلطانه وقوته الضاغطة لكننا نشاهد الكثير من الناس الذين لا يهتمون بسلطان المجتمع ويتمردون على أخلاقه. وبالنسبة للرأي الذي يقول: إن القوانين هي التي تلزم الإنسان فعل الخير، نقول: لا شك أن للقوانين قوة ملزمة، لكنها ملزمة للإنسان من خارجه، وقد لا يكون الناس مقتنعين، فَيَمِيلون إلى الالتفاف عليها"[1]. فهذه هي أغلب الآراء التي ترجع مصدر الإلزام ألى غير المصدر الديني وقد تم الوقوف على جوانب الضعف فيها. وأما بالنسبة للرأي الذي يرى أن الإيمان بالله هو مصدر الإلزام الخلقي، فيقال في مناقشته: "إذا كان الإنسان مؤمناً بالله، فإن هذا الإيمان سيكون مصدراً قوياً وفقاً للالتزام بفعل الخير. الإيمان بالله يعني الالتزام بالتشريع الإلهي والقوانين التي وضعها الله للناس، والإيمان بالله وطاعته تؤدي إلى تكميل الإنسان، وسعادته، كما أن الإيمان بالله يتضمن احترام المجتمع والجماعة، ولا يتعارض مع العقل، كما أن الإيمان بالله يوجد لدى الإنسان ضميراً حياً"[2]. وهكذا يصبح مصدر الإلزام الخلقي في التصور الإسلامي مركزاً رئيساً تؤول إليه جميع مصادر الإلزام الأخرى، كما أنها متضمنة فيه ومتفرعة عنه.

المرتكز الثامن: معيْارية الأخلاق الإسلامية

يقصد الباحث هنا بمرتكز المعيارية الأخلاقية، وجود معيار أخلاقي، أي مقياس واضح ومحدد يتم الحكم من خلاله على خلق ما بأنه مقبول أو مردود، وبأنه ينتمي لذلك المذهب أم لتلك الديانة.

ووجود معيار أو مقياس للأخلاق تعد حاجة ملحة، ذلك "أن الحكم على فعل ما بأنه خير أو شر يحتاج إلى معيار معين يقاس الفعل إليه قرباً أو بعداً، ودون هذا المعيار لن

(١) السيد، عزمي طه، الفلسفة: مدخل حديث، ص ٢٣٤–٢٣٥.
(٢) المرجع السابق، ص ٢٣٦.

يكون للحكم الذي نصدره معنى أو أهمية من الناحية الخلقية، والإنسان حين يفعل فعلاً أخلاقياً، يدرك هذا المعيار الذي بواسطته يحكم على فعله بالخير أو الشر" [1].

فالحاجة للمعيار حاجة إنسانية واجتماعية لكثرة ما يصدر عن الإنسان من تصرفات فأنْ يُقال: "هذا التصرف أخلاقي أو غير أخلاقي، على أي أساس يصدر هذا الحكم؟ هل يترك الأمر لكل إنسان ليقرر ما هو أخلاقي وما هو غير أخلاقي، فيحلّ هذا حيناً، ويحرمه حينا آخر، مشرقاً ومغرباً مع هواه، فما يراه حقاً مطلقاً يراه غيره باطلاً مطلقاً" [2]. فمثلاً، لو قلنا: تبرع محمد بألف دينار للفقراء فهذه جملة خبرية، تخبر عن أمر وقع، أما لو قلنا: التبرع للفقراء فضيلة، فهي جملة تشير إلى وصف فيه امتداح لفعل نرغب فيه ونقدره، إننا في مثل هذه الجملة وغيرها نطلق أحكاماً أخلاقية، أي نصف فعلاً إنسانياً معيناً بأنه فضيلة أو رذيلة، والسؤال الذي يأتي بعد ذلك هو على أي أساس حكمنا، وعليه فلا يمكننا أن نصدر أحكاماً أخلاقية دون أن يكون لدينا معيار واضح للخير أو الفضيلة من جهة، والشر أو الرذيلة من جهة أخرى[3].

وبسبب اختلاف أديان وثقافات وفلسفات المجتمعات الإنسانية، اختلف لديهم المعيار المعتمد لإعطاء قيمة ما للسلوك الخلقي، "فقال بعضهم: بالعقل، ولكن عقل من؟ فكل عقل له حكمه، وقال آخرون: بالضمير، ثم بالعدل ثم بالخير، ولكن من يحدد معالم هذا أو ذاك، وجاء ميكافيلي ليقول قولته المشهورة: "الغاية تبرر الوسيلة"، وجاءت البراجماتية لتقول بالمنفعة، وتتبنى نظرية القيمة المنصرفة (المادية) للأخلاق"[4].

وفي التصور الإسلامي، فإن المعيارية الأخلاقية هي معيارية ثابتة وواضحة، تتمثل في معيارية الكتاب والسنة، معيارية الشارع الحكيم، معيارية الوحي الإلهي "فتحديد

---

(١) المرجع السابق، ص ٢١٠.

(٢) الأسمر، النبيّ المربّي، ص ٢٩٣.

(٣) السيد، عزمي طه، الفلسفة: مدخل حديث، ص ٢١٢–٢١٣.

(٤) الأسمر، النبيّ المربي، ص٢٩٣.

الحكم الأخلاقي ليس للناس، وإنما لربّ الناس، وهو الذي خلقهم، ويعلم علم اليقين ما يصلحهم وما يفسدهم، لذلك، فإنّ ما جاء في الكتاب والسنة من الأخلاق فهو من الأخلاق الإسلامية حكماً، وما جاء مَنْهياً عنه فهو لا أخلاقي حكماً، وعلى ما جاء منهما تقاس المستجدات في الميدان الأخلاقي اجتهاداً، والحكم بأخلاقية أي عمل في الإسلام يقوم على ركيزتين: أن يكون صواباً، وأن يكون موافقاً للشرع"[1]. والمعيارية الخلقية الإسلامية هي محدّدات الشرع الإسلامي، الذي يراعي مقومات الحق والعدل والخير والصلاح، وإن الموضوعية الخلقية تقتضي التزام المعيارية الخلقية الإسلامية– الشرع الإسلامي– لا رؤى الناس المتضاربة[2]. وإن اعتماد التشريع الإسلامي مقياساً أصيلاً للحكم على خلق ما بأنه إسلامي، هو ما تؤكده مصدرية الأخلاق في الإسلام وصلة الدين بالأخلاق، كما سبق بيانه فيما تقدم، فالوحي إذن هو الذي يعطي القيمة لأي سلوك أخلاقي.

المرتكز التاسع: ترتب المسؤولية على السلوك الخلقي

تعد المسؤولية في التصور الإسلامي من المفاهيم المحورية التي يركز عليها النظام الإسلامي في جميع تشريعاته الشمولية لشؤون الحياة؛ إذْ لا يمكن استقامة أمر التديّن ولا إقامة شرائع الدين إذا لم تكن هناك مسؤولية، ولذلك تنبثق المسؤولية في التصور الإسلامي من طبيعة التكليف ومقاصد الشريعة ودور رسالة الإسلام في حياة الناس، وترتبط كذلك ارتباطاً وثيقاً بالطبيعة الإنسانية من إرادة واختيار وقدرة وعقل وغير ذلك، ومن هنا جاءت المسؤولية في الإسلام شمولية فكل نظام من أنظمته له ما يترتب عليه من أمر المسؤولية الخاصة به، وكل نشاط من أنشطة المسلم له ما يترتب عليه من أمر المسؤولية، وكل مرحلة من مراحل الحياة لها ما يترتب عليها من أمر المسؤولية،

(١) المرجع السابق، ص٢٩٣.

(٢) المرجع السابق، ص٢٩٣..

وكل جهة حاكمة لها حظها من شأن المسؤولية، وما يعنينا هنا هو الحديث وبالقدر المناسب عن المسؤولية الخلقية تحديداً.

حتى نفهم المسؤولية الخلقية لا بد من الوقوف على معنى المسؤولية ضمن الدوائر الآتية:

الدائرة الأولى: المسؤولية بشكل عام تعني: "إقرار المرء بما يصدر عنه من أفعال، واستعداده لتحمل نتائجها"[1]. ويعرفها آخر بأنها "مقدار تحمّل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته"[2]، ويعرفها آخر أيضاً بقوله: إنها "سؤال الإنسان ومحاسبته على أفعاله الإرادية التي يختارها بملء حريته"[3]. ويفرق بينها وبين الجزاء بقوله: "فالمسؤولية لا تعني الجزاء(الثواب والعقاب) لأن الجزاء هو ما يترتب على هذه المسؤولية"[4]، إذن فالمسؤولية بشكل عام تدور حول تحمل الإنسان نتيجة سلوكه الاختياري.

الدائرة الثانية: المسؤولية في الإسلام تعني: "تحمل الشخص نتيجة التزاماته وقراراه واختياراته، أمام الله في الدرجة الأولى، وأمام ضميره في الدرجة الثانية، وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة"[5]. ويعرفها بعضهم بقول: "هي سؤال ومحاسبة الإنسان في الدنيا لتقدير الجزاء، وكشف حساب بأعمال الإنسان في الحياة الآخرة"[6].

وعليه، فمفهوم المسؤولية في الإسلام يدور حول تحمل الإنسان نتيجة سلوكاته الاختيارية المختلفة أمام الجهات المنوط بها محاسبة هذا الإنسان لتشمل ابتداءً

---

(١) مكروم، الأصول التربوية لبناء الشخصية المسلمة، ص ٢٥٦.

(٢) الحموري، فيصل محمد، المسؤولية بين التربية الإسلامية والتربية الغربية، رسالة ماجستير، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، إربد، ٢٠٠٢م، ص ٥.

(٣) المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية،. كتاب الفكر التربوي العربي الإسلامي، تونس، ١٩٨٧م، ص ٤٢٦.

(٤) المرجع السابق، ص ٤٢٦.

(٥) يالجن، مقداد، جوانب التربية الإسلامية، ص ٣٣١.

(٦) المجمع الملكي، كتاب الفكر التربوي العربي الإسلامي، ص ٤٢٦.

وأساساً الخالق سبحانه وتعالى، ثم ضمير الإنسان ونفسه، والجهات الاجتماعية والقانونية المسؤولة عنه.

ويقسم بعض الباحثين المسؤولية في التصور الإسلامي إلى قسمين: مسؤولية آجله، وتكون أمام الله في الحياة الآخرة، كما في وقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر:٩٢)، والمسؤولية العاجلة وهي التي تكون في الدنيا، سواء أكانت جزائية أم إرشادية[١]. فالسارق تقطع يده، والمقصر في حق جاره يوجه ويرشد للخلق السليم. ولعل من الأدلة الجامعة بين كل هذه الأقسام من المسؤولية قول صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته)[٢].

الدائرة الثالثة: المسؤولية الخلقية في الإسلام، فقد عرفها بعض الباحثين بأنها "الشعور بتبعة الاقتضاء الخلقي المترتب على فعله ثواب، وعلى تركه عقاب"[٣]. وعرفها آخرون بأنها "شعور الإنسان بالتزامه أخلاقياً بنتائج أعماله الإرادية فيحاسب عليها إن خيراً وإن شراً"[٤]. ومن مجموع ما تقدم من تعريفات للمسؤولية، يمكن للباحث تعريف "المسؤولية الخلقية في الإسلام" بأنها: "تحمل المسلم لنتيجة سلوكه الأخلاقي الاختياري".

وللمسؤولية الخلقية مكانتها في النظام الأخلاقي، إذ ينظر إليها الإسلام "على أنها لبّ العمل الخلقي ومناط الحكم الخلقي ومناط الجزء الخلقي، وما يرتبط به من ثواب أو عقاب بأنواعه المختلفة، وهذا يعني أننا لا نستطيع أن نحكم على أي فعل إنساني بأنه

---

(١) المرجع السابق، ص ٤٢٦

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تحقيق: مصطفى البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م ، باب العبد راع في مال سيده، ح رقم (٢٤١٩).

(٣) الحليبي، المسؤولية الخلقية، ص ٨٩.

(٤) الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، ص ٢٦٨.

فعل أخلاقي ولا أن نرتب عليه أي جزاء خلقي إلا إذا توفرت لصاحبه مقومات وشروط المسؤولية الخلقية، وانتفت عنه موانعها"[1]. ومن هذه الشروط: الإرادة الحرة، والعقل السليم والوعي الكامل، والقدرة البدنية والنفسية[2]. وهذا يعني أن المسؤولية الخلقية في التصور الإسلامي: مسؤولية واقعية وعملية ومثمرة في آن واحد.

المرتكز العاشر: ترتب الجزاء على السلوك الخلقي

قال الراغب الأصفهاني في معنى الجزاء كما ورد في نصوص القرآن الكريم: "والجزاء: ما فيه الكفاية من المقابلة، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، يقال: جزيته كذا بكذا، قال الله تعالى:﴿وَذَلِكَ جَزَاء مَن تَزَكَّى﴾ (طه:١٧٦)، وقال تعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (الشورى:٤٠)، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ (الفرقان: ٧٥)" [3]. وجاء الجزاء في القرآن الكريم على العمل الخلقي مثل غيره من الأعمال، ففي موضع الثواب على الحسَن منه، قال تعالى: ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ (الإنسان:١٢) وقال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٢٤)، وفي موضع العقاب على السيء منه، قال تعالى:﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف:٤١)، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ (الأعراف:١٥٢)، وفي السنة النبوية، جاء الجزاء مجْمَلاً في مقابل العمل المطلق كما في قول صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه عز وجل، قال: (قال تعالى: يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) [4]، وورد الجزاء مفصلاً في مقابلة العمل المحدد، كما في قوله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) ينظر: الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، ص ٢٦٨–٢٧٠، والأسمر، مكارم الأخلاق، ص ٣٥–٣٧.

(٢) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان، دار القلم، دمشق، ط٢، ٢٠٠٢م، ص ١٩٥.

(٣) الحليبي، المسؤولية الخلقية، ص ٣٥٧–٣٥٨.

(٤) مسلم، الصحيح، باب تحريم الظلم، ح رقم (٥٥).

(والكلمة الطيبة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة)[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة)[2]، وغير ذلك من النصوص النبوية[3].

وفي التصور الإسلامي يعد الجزاء الخلقي محوراً أساسياً في منظومة القيم الأخلاقية، وقاعدة من قواعدها، كما أنه يعد نتيجة طبيعية للمسؤولية الخلقية وللحكم الخلقي، والعلاقة القائمة بين المسؤولية الخلقية والجزاء الخلقي، هي علاقة متبادلة، بحيث إذا وجد أحدهما وجد الآخر"[4]. ويقوم الجزاء الخلقي في التصور الإسلامي على مبدأ المعاملة العادلة التي تقتضي أن يكون الجزاء عادلاً، وأن يكون من جنس العمل، كما أنه يتفاوت بتفاوت درجة الخير أو الشر ونوعهما، ومن فضل الله مضاعفة الجزاء على الحسنات، ومعاقبة السيئة بمثلها[5].

ورغم أن الجزاء الخلقي قد اعتنت به مختلف الفلسفات والمجتمعات والمذاهب، إلا أنه امتاز بالتصور الإسلامي بشمولية أنواعه للجزاء الدنيوي وللجزاء الأخروي، واتصالها بمختلف أشكال السلوك الخلقي الباطني منه والظاهري؛ ففي التصور الإسلامي يكافؤ المسلم الملتزم بأخلاقيات المهنة والعمل الوظيفي بمختلف أنواع الجزاء المادي، وفي الوقت نفسه يكتب الله له من الجزاء الأخروي ما يشاؤه سبحانه، والمسلم الذي يحسد أخاه المسلم، ورغم أنه خلق باطني "سيء" لكنه مذموم في الشرع، ويجازى صاحبه بالسوء، ومن غض بصره جازاه الله بالحسنى، وغير ذلك من أنواع الجزاء المترتبة على

---

(١) ابن حنبل، أحمد، المسند، ح رقم (٨١٦٨) وقال الأرنؤوط: أسناده صحيح.

(٢) مسلم، الصحيح، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، ح رقم (٧٠٢٨).

(٣) الحليبي، المسؤولية الخلقية، ص ٣٦٢–٣٦٣.

(٤) المليجي، يعقوب، الأخلاق في الإسلام، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٣م، ص ١٤–١٥، والشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، ص ٢٧٦.

(٥) الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، ص ٢٧٦–٢٧٨.

سلوكيات أخلاقية، التي إما لا يوجد لها نظير في فلسفات الجزاء الوضعية، وإما أن يكون الجزاء فيها محدوداً على المادي والدنيوي فقط.

* * *

المبحث الثالث: أبرز الانعكاسات التربوية للأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية

يقدم الباحث جانبا من الانعكاسات التربوية للأصل الأخلاقي، متمثلة بما يأتي:

- لتعريف الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية ولمفهومه الرئيس وهو الأخلاق الإسلامية بالتحديد انعكاسه الإيجابي على التربوي المسلم في ذاته، إذا ما فهمه وتصور أبعاده والتزم به، من حيث أنّ نظرته للأخلاق ستصبح كلية وأصيلة ومغيّاة، فينظر إلى أن تخلّقه بالأخلاق هو دين، وأنّ هذه الأخلاق قيم عليا وثابتة في الدين، وأنّ التزامه بها له مقاصد دنيوية وله غاية أخروية، وأنّ أخلاقه يجب أنْ تمتد لكل الفئات ولكل الجهات، وأنْ تتكامل مع بقية جوانب عبادته وعقيدته.
- التربية الإسلامية، التي لا بد لها من الاهتمام الكبير بالجانب الأخلاقي، تتبنى المصدرية الإسلامية السليمة لأخلاق العملية التربوية، فتحرص كل الحرص على استمدادها من الكتاب والسنة؛ لأن ذلك سيضمن لها منهجاً تربوياً صحيحاً.
- يعمل القائمون على التربية الإسلامية، على بذل الجهود العِلْمية العَمَلية باستخراج قائمة الأخلاق الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية، التي تحتاجها العملية التربوية وتعمل على تعليمها.
- التزام التربية بالمصدر الإسلامي للأخلاق يبعدها عن الانحراف، ويمنع وقوع الاختلاف والشقاق فيما بين مؤسساتها التعليمية، ويضمن لها سيراً واتفاقاً حميداً.
- قيام التربية على أساس التعامل مع المصدر الإسلامي للأخلاق وللقيم يحفظها من الوقوع في أخطاء المذاهب والاتجاهات التربوية الأخرى التي تأثرت بالمصادر الوضعية للأخلاق، وتبنّت قِيَماً أخلاقية غريبة عن المجتمع المسلم، تم استيرادها من الغرب أو الشرق فأثرت سلباً عليها، وعلى أتباعها وعلى عامة المسلمين المحيطين بها.

- التـزام التربيـة بمرتكـز مـصدرية الأخـلاق الإسـلامية، يعـزز لـدى أتباعهـا قيمـة "تعظيم" الكتـاب والـسنة، وقيمـة "مرجعيـة" الكتـاب والـسنة، وقيمـة "إسـلامية" العمل التربـوي، وقيمـة "تفعيـل" المرجعيـة الإسـلامية و"واقعيتها"، وقيمـة "الجمع بين النظرية والتطبيق" في دعوى السير على الكتاب والسنة.
- النِسبْيّة الأخلاقية التي أصبحت تمتاز بها أخلاق الحضارة الغربية، تضادّ خصيصة الثبات في الفكر الإسلامي[1]، ويفسر بعض الباحثين هذه الحالة التي صارت عليه أخلاق الحضارة الغربية من النِسبْية بقوله: "إن الأخلاق في الغرب بعد أن انفصلت عـن الـدين، وأقبلـت علـى الفلـسفة لـم تتوقـف عنـد مفهـوم الواجـب أو المنفعـة فحسـب، بل خضعت للتطور مرحلة بعد مرحلة، وذاب فيها عنصر الثبات، فذهبت بعيداً، وانفصلت تماماً عـن كل القيم الربانيـة أو التشريعية، ودخلت في مضمون جديـد، وتفـسير حـديث بتـأثير مدرسـة العلـوم الاجتماعيـة"[2]، وعلـى رأسـها دوركـايم وليفـي بريـل التي رفـضت القواعـد الخلقيـة، ممـا أدى إلى تـذويب القيمـة الخلقية وتعميق النسبية في أطُر زمنية وبيئية بحجة التطور المطلق، وهو ما لم يحدث في الأخلاق عند المسلمين، التي سايرت حركة الحياة في محافظتها على عنـصر الثبـات الـذي لا يقبـل التغيير أو التطوير، لتتحـرك ظـواهر الحياة وأشـكال الأوضاع في إطار من القيم الثابتة"[3]. وجاءت العولمة المعاصرة أخيراً، لتزحف على كل ثبات أو خلود تتصف به قيم الإنسان والحياة، وتجعل من كل مظاهر الحياة أطيافاً متقلّبة في سماء أصحاب المصالح المادية، فما كان في الأمس قيمة رفيعـة، تغير اليـوم وأصبح قيمـة مرتهنـة بالمـصلحة، فهـي الحكـم علـى القيمـة

(١) الحليبي، المسؤولية الخلقية، ص ٢١.

(٢) مدرسة فرنسية مادية النظرة، حاكمت التراث البشري كله على أنه اجتهاد أفراد، وأنه قابل للتطور، بحيث لا يثبت منه شيء (نقلاً عن المرجع نفسه، هامش ١، ص ٢١).

(٣) الحليبي، المسؤولية الخلقية، ص ٢١–٢٢.

الخلقية بالإيجاب أو السلْب. ولكن الأمر مختلف تماماً في تصورنا الإسلامي، حيث الثبات والخلود لقيمنا الأخلاقية مهما كانت سطوة الحضارة أو بريقها، وهو ما يؤكده مرتكز الثبات.

- مراعاة التربية الإسلامية لمرتكزات الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية بالجملة، يدل على اهتمامها الكبير بأن تظهر صورة الإسلام الحقيقية وأنظمته وتشريعاته وقيمه، ومنها الأخلاقية.
- التربية الإسلامية التي تحرص على أن تكون أخلاق العملية التربوية وقيمها ثابتة وأصيلة، تحفظ نفسها من الذوبان في قيم الحضارة الغربية المتغيرة، وتدفع عن نفسها مخاطر العولمة التي تهدف وبكل قوة إلى زعزعة ثوابت التربية الإسلامية، ومنها قيمها الأخلاقية.
- يُكْسب مرتكز شمول الأخلاق التربيةَ الإسلاميةَ البعد الشمولي في القيم الأخلاقية والإنسانية التي تشكل محوراً أساسياً من محاور عملياتها التربوية، وتؤكد في الوقت نفسه أهدافها الشمولية.
- تظهر التربية بصورة واضحة في اعتدالها ووسطيتها كلما راعت في أخلاقها التي تتبناها وتربي المسلمين عليها مرتكز الوسطية والاعتدال، وقدمتها بصورة متزنة ومراعية للطبيعة الإنسانية وإمكاناتها وفطرتها، وللواقع الاجتماعي واتجاهات الإفراط أو التفريط فيه.
- يؤكد مرتكز نسقية الأخلاق والعقيدة على مركزية "القضية الأخلاقية" في اهتمامات التربية الإسلامية .
- يوجب مرتكز نسقية الأخلاق والعقيدة على التربية، العمل على إبراز البعد الأخلاقي في خطابها التربوي المتعلق بالعقيدة والإيمان.

- تجعل هذه النسقية التربية الإسلامية تحرص كل الحرص على نشر القيم الأخلاقية والاهتمام البالغ بالجانب السلوكي الأخلاقي في جميع المجالات التي تربي عليها أبناء المجتمع المسلم.
- ينعكس مرتكز الإلزام الخلقي في التصور الإسلامي على التربية، بأن يُعطيها قوة مؤثرة ودافعة لأن يتبنى الناس ما تربيهم عليه من أخلاق وقيم وفضيلة، شريطة أن تكون العملية التربوية على بصيرة بمصدر الإلزام الخلقي في تربيتها، وأن تحسن عرضه ومناقشة آراء الآخرين، لتكوّن بذلك قناعة ذاتية مبناها على الإيمان والعقل والفطرة، تجعل عملية تنفيذ الأخلاق ميسورة ومحافظة ودائمة، يقول الشيْباني: "لقد أراد المادّيون أن يؤسّسوا نظاماً للأخلاق مبنياً على العقل البحت، فلم ينجحوا. إن الأخلاق إذا كان يحميها القانون فقط، أو الحكومة، أو الضمير، أو الرأي العام، لم تكن أخلاقاً محصنة، فكل هذه الوسائل لا تمنع الإجرام، فالضمير في الهند كان يسمح للزوجة أن تدفن حية وراء زوجها، والضمير في أمريكا كان يسمح للأمريكي أن يعامل الزنجي معاملة الإنسان للغنم، والدين هو الذي يسد هذه الثلمة فيربط قلب الإنسان بربه، وضميره بإلهه، لذلك كان لا بد من الدين لحياة القلب وحياة الضمير، وتحقيق السعادة"[1].
- حينما تجعل التربية الإسلامية من الإيمان والشرع مصدراً للإلزام الخلقي، فإنها تقدم للناس ضماناً خلقياً يتعانق مع مكونات النفس، ويتماهى مع طبيعة الحياة وغاياتها، وهذا يعني نجاح التربية في واقع الناس لأنهم سيتقبلون موضوعاتها وسيلتزمون بها.
- حينما تفقه التربية الإسلامية هذا التوجّه الذي يحمله مرتكز معيارية الأخلاق في أخلاقنا الإسلامية، وتجعل من الشرع حكماً فَصْلاً في إعطاء القيمة الإيجابية أو السلبية للسلوك الأخلاقي لدى الناس، فإنها بذلك تقدم للمجتمع تربية أخلاقية

(١) الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، ص٢٥٤.

تتصف بالموضوعية والدقة، وبعيدة كل البعد عن الهوى والتذبذب والحسابات الشخصية أو المنافع المادية التي تكون على حساب السلوك القويم، فهي تُسلْم الناس إلى ميزان عدل ومقياس أمين يضع سلوكاتهم في موضعها الصحيح الذي يرتضيه الشرع، ولو خالف في ذلك المزاج العام للمجتمع.

- ينعكس مرتكز المسؤولية الخلقية في الإسلام على التربية الإسلامية، بأن يجعل منها تربية مسؤولة، وتربية إيجابية، وتربية ناقدة، وعملية تربوية متطورة، فيما يتعلق بالمحور الأخلاقي في تربيتها؛ فهي مسؤولة عن منظومة القيم التي تدعو إليها وعن مدى التزامها بها وتربية الآخرين عليها، وعليها أن تحاسب نفسها على ذلك كله، وأن تقوم بدور إيجابي في متابعة الأخلاق الاجتماعية في الوسط الإسلامي، وتعمل على التوجيه والإرشاد والمساءلة، وهذا من شأنه أن ينمّي محور الأخلاق في المجتمع، وأن يعززه ويعمل على تطويره.
- ينعكس مرتكز الجزاء الخلقي على التربية الإسلامية بشكل إيجابي، إذا ما هي قدمت تربيتها الأخلاقية لأبناء المجتمع بأسلوب يربط الالتزام بالأخلاق بالجزاء بالحسنى، والتفريط بالأخلاق بالجزاء بالسيئة، لأن ذلك سيشكل إما مرغباً للناس بالتقيد بالأخلاق الحسنة، وإما منفراً لهم من الظهور بالأخلاق الذميمة. كما أن التربية التي تربط بين الأخلاق والجزاء عليها في عمليتها التربوية، تكون قد مثلت التربية الإسلامية تمثيلاً صادقاً وواقعياً، يتفق مع مقومات التربية الأصيلة التي جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

* * *

الخاتمة:

أولا: النتائج: توصلت الدراسة إلى أبرز النتائج الآتية:

– يدل المفهوم العلمي للأخلاق الإسلامية على أنها منظومة القيم والتوجيهات الإسلامية، التي تصلح شأن الجماعة المسلمة، وتنظم سلوك الفرد المسلم تجاه ذاته والآخرين، بقصد تحقيق السعادة في الدنيا والفوز في الآخرة.

– ينعكس مفهوم الأخلاق الإسلامية ايجابيا على التربوي المسلم في نظرته للأخلاق وغاياتها ودوافع تدينه بها.

– يعرف "الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية" بأنه منظومة المرتكزات الأخلاقية التي تُبْنى عليها التربية الإسلامية، وتَسْتند إليْها في جانبيها النظري والتطبيقي.

– يشير مرتكز مصدرية الأخلاق إلى كون المصدر الرئيس لها هو الوحي، متمثلاً بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية الشريفة. وعليه فلا يمكن أن يكون المجتمع أو العقل مصدراً مستقلاً يستمد منه المسلمون أخلاقهم الإسلامية– كما هو الحال في الفلسفات الوضعية– لأن دور المجتمع أن يطبق الأخلاق الإسلامية التي جاء بها الشرع، ودور العقل أن يفهمها ويحسن التعامل معها.

– التزام التربية بالمصدر الإسلامي يترجمه التربويون عمليا ببذل جهود عِلْمية لاستخراج قائمة الأخلاق الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية، التي تحتاجها العملية التربوية وتعمل على تعليمها.

–يدل مرتكز ثبات الأخلاق الإسلامية، أنها قيم خالدة ومستقرة لا يطرأ عليها أي تغيير أو تبديل، ويظهر مرتكز الشمول بكون الأخلاق الإسلامية شاملة للكينونة الإنسانية، وشاملة لمختلف علاقات الإنسان، ولمجالات الحياة، ويفهم مرتكز واقعيتها بمراعاتها لإمكانات الإنسان وطاقاته وفطرته.

– مراعاة التربية الإسلامية لمرتكزات الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية بالجملة، يدل على اهتمامها الكبير بأن تظهر صورة الإسلام الحقيقية وأنظمته وتشريعاته وقيمه، ومنها الأخلاقية.

– يؤكد مرتكز نسقية الأخلاق الإسلامية والعقيدة مركزية القضية الأخلاقية في اهتمامات التربية الإسلامية، وتوجب على التربية، العمل على إبراز البعد الأخلاقي في خطابها التربوي المتعلق بالعقيدة والإيمان.

– حينما تجعل التربية الإسلامية من الإيمان والشرع مصدراً للإلزام الخلقي، فإنها تقدم للناس ضماناً خلقياً يتفق مع مكونات النفس وطبيعة الحياة وغاياتها.

– حينما تجعل التربية الإسلامية من الشرع معيارها في إعطاء القيمة الإيجابية أو السلبية للسلوك الأخلاقي لدى الناس، فإنها تقدم بذلك للمجتمع تربية أخلاقية تتصف بالموضوعية.

– ينعكس مرتكز المسؤولية الخلقية في الإسلام على التربية الإسلامية، بأن يجعل منها تربية مسؤولة، وتربية إيجابية، وتربية ناقدة.

– التربية التي تربط بين الأخلاق والجزاء عليها في عمليتها التربوية، تكون قد مثلت التربية الإسلامية تمثيلاً صادقاً وواقعياً، يتفق مع مقومات التربية الأصيلة التي جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ثانيا: التوصيات: توصي الدراسة المؤسسات التربوية الإسلامية بأن تضمن مناهج التعليم شرحا تفصيليا لمرتكزات الأصل الأخلاقي وطرق تطبيقها في حياتنا. كما توصي الدراسة طلبة الدراسات العليا بإنجاز عدد من البحوث والرسائل التي تناقش علاقة الأخلاق بالتربية والتعليم، وتبحث الأصول الأخرى للتربية الإسلامية، كالأصل التاريخي والمعرفي.

ثالثا: مقترحات: يقترح الباحث على طلبة الدراسات العليا إجراء الدراسات الآتية:

- العلاقة بين السلوك الأخلاقي والسلوك التعليمي في السنة النبوية.

- دراسة العلاقة بين الأخلاق والتربية في كتب التراث التربوي الإسلامي.
- مقارنة الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامي بالأصل الأخلاقي للتربية العامة.

* * *

المراجع

- إبراهيم، زكريا، المشكلة الأخلاقية، مكتبة مصر(د.ط).
- ابن حبان، محمد بن حبان التميمي، صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة(د.ط).
- ابن حنبل، أحمد، المسند، شرح: أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.
- ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم المقاييس في اللغة، تحقيق: شهاب الدين أبو عمر، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
- ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، دار الفكر، بيروت(د.ط).
- ابن مسكويه، أحمد بن محمد، تهذيب الأخلاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ط).
- أبو داود، سليمان بن الأشعث، السنن، تحقيق: محمد محي الدين، دار الفكر (د.ط).
- الأسمر، أحمد رجب، النبيّ المربي، دار الفرقان، ط١، ٢٠٠١م.
- الأسمر، أحمد رجب، مكارم الأخلاق في الإسلام، دار الفرقان، عمان، ط١، ٢٠٠٨م.
- الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م (د.ط).
- باقارش، صالح سالم، وعبد الله محمود، أصول التربية العامة والإسلامية، دار الأندلس، حائل، ط٢، ١٩٩٦م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تحقيق: مصطفى البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
- الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح (السنن)، تحقيق: أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ط).
- الحازمي، عبد الرحمن بن سعيد، التوجيه الإسلامي لأصول التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٤ - ٢٠٠٤م.

- حبنكة، عبد الرحمن حسن، الوجيز في الأخلاق الإسلامية وأسسها، مؤسسة الرّيان، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- الحليبي، أحمد بن عبد العزيز، المسؤولية الخلقية والجزاء عليها (دراسة مقارنة)، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٩٦٦م.
- الحموري، فيصل محمد، المسؤولية بين التربية الإسلامية والتربية الغربية، رسالة ماجستير، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، إربد، ٢٠٠٢م.
- دراز، محمد عبد الله، دستور الأخلاق في القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٩٨٧م.
- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان، دار القلم، دمشق، ط٢، ٢٠٠٢م.
- زمزمي، يحيى بن محمد، المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم، ١٤٢٤هـ.
- السعدي، عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٤هـ.
- السيد، عزمي طه، الفلسفة: مدخل حديث، دار المناهج، عمان، ط١، ٢٠٠٣م.
- الشيباني، عمر التومي، فلسفة التربية الإسلامية، الدار العربية للكتاب (د.ط).
- الصّلابي، علي محمد، الوسطية في القرآن الكريم، دار النفائس، عمان، ط١، ١٩٩٩م.
- الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير(د.ط).
- عفيفي، محمد عبد الله، النظرية الخلقية عند ابن تيمية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ١٩٨٨م.
- العمرو، عبد الله بن محمد، الأخلاق بين المدرستين السلفية والفلسفية (مسكويه وابن القيم نموذجاً)، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ٢٠٠٦م.
- الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، (د.ط).
- فؤاد، النسبيّة، مجلة البيان، لندن، العدد ٢١٣.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٦، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
- قطب، محمد، لا إله إلا الله: عقيدة وشريعة ومنهاج حياة، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م.

- القوسي، مفرح بن سليمان، قيم السلوك مع الله عند ابن قيم الجوزية (الجزء الثاني)، كتاب الأمة، مركز البحوث والدراسات، قطر، العدد ١٣٤، ١٤٣٠هـ.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الدعوة، استانبول، ١٤١٩هـ – ١٩٨٩م.
- المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية،، كتاب الفكر التربوي العربي الإسلامي: الأصول والمبادئ، تونس، ١٩٨٧م.
- مسعود، عبد المجيد، القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف القطرية، ط١، ١٩٩٩م.
- مسلم بن الحجاج النيسابوري، الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ط).
- مكروم، عبد الودود، الأصول التربوية لبناء الشخصية المسلمة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.
- المليجي، يعقوب، الأخلاق في الإسلام، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٣م.
- المودودي، أبو الأعلى، منهج الحياة الإسلامية(د.ط).
- النقيب، عبد الرحمن، المنهجية الإسلامية في البحث التربوي نموذجاً: النظرية والتطبيق، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- يالجن، مقداد، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، ط١، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.

* * *

- Zamzami, Yehya Ibn Mohammed. The Ethical Approach and Human Rights in the Holy Quran. 1424.

* * *

- Ibn Hanbal, Ahmad. Al Musnad. Commented and annotated by Ahmad Shaker. Al-Hadeeth Daar Dar. Cairo, 1st Ed. 1995.
- Ibn Mandour. Lisan Al Arab, verified by Amer Ahmad. Scientific Books Publishing. Beirut
- Ibn Mesqaweyeh, Ahmad Ibn Mohammad. Manners Smoothing. Scientific Books Publishing. Beirut, 1st Ed., 1985.
- Ibn Qayem Al Jawzeya. Clarifications in Quran Sections. Dar Al Fiker, Beirut.
- Ibrahim, Zakareya. The Moral Dilemma. Egyptian Library.
- Makroum, Abdel Wadoud. The Educational Foundations for Developing an Islamic Personality. Arab Fiker Dar, Cairo, 1st Ed., 1416- 1996.
- Masoud, Abdel Majeed. The Islamic Educational Values and Modern Society. Nation Book. Ministry of Islamic Affaires, 1st Ed., 1999.
- Musalam Ibn al Hajaj Al Naysabouri. The Correct. Verified by Mohammaed Fuad Abdel Baqqi. Arabic Heritage Revival Dar, Beirut.
- Qutub, Mohammad. There is only one God: Doctrine, Sharia and Lifestyle. Al Shorouq Dar, Cairo, 1st Ed., 1993.
- The Royal Assembly of Islamic Civilization Research, Islamic Arab Educational Intellect Book: Principles and Foundations, Tunisia, 1987.
- Yaljin, Meqdad, Basic Islamic Education Aspects. 1st Ed., 1406- 1986.

- Al Sayed, Azmi Taha. The Philosophy: New Entry. Dar Al-Manahej, Amman, 1st Ed., 2003.
- Al Shaybani, Omar Al Toumi. Falsafat Al-Tarbyah Al-Islameyya. Al-Dar Al-Arabyah Lelkotob.
- Al Tabarani, Sulaiman Ibn Ahmad. The Moral Theory at Ibn Taymeya. King Faisal Centre for Islamic Research & Studies, Riyadh, 1st Ed. 1988.
- Al Termethi, Mohammad Ibn Issa. The Correct Collection (Al Sunan- The Saysings), verified by Ahmad Shaker, Daar Ihyaa Al-Turath Al-Arabee, Beirut.
- Arabic Language Assembly, Al-Waseet Dictionary. Al Dawa Dar, Istanbul, 1419-1989.
- Baqaresh, Saleh Salem; Mahmoud, Abdullah. The Islamic and General Education Basics. Dar Al Andalusia, Hael, 2nd Ed, 1996.
- Fuad. Relativism. Al Bayan Journal, London, Vol. 213.
- Hanbakah, Abdel Rahman Saed. The Handbook of Islamic Ethics and their Basics. Al Rayyan Foundation, Beirut, 1st Ed. 1997.
- Ibn Faris, Ahmad Bin Zakareya. Measurements Dictionary in Language, verfied by Shehab Aldinn Abu Omar. Dar Al Fikr, Beirut, 2nd Ed. 1418\1998.
- Ibn Haban, Mohammad Ibn Haban Al Tamimi. Saheeh Ibn Haban. Message Foundation.

- Al Hazemi, Abdel Rahman Ibn Sayeed. The Islamic Guidance for the Education Fundamentals. Umm Al Qurra University, Holy Mecca, 1st Ed., 1424-1997.
- Al Hulaibi, Ahmad Ibn Abdel Aziz. Moral Responsibility and its Result (Comparative Study). Al Rushud Library, Al Riyadh, 1st Ed., 1966.
- Al Maodoudi, Abu Al Alaa. The Islamic Life Approach.
- Al Melijee, Yaqoub. Manners in Islam, University Culture Foundation, Alexandria, 2003.
- Al Naqeeb, Abdel Rahman. The Islamic Approach in the Educational Research: Theory& Applications. Dar Al-Fekir Al-Arabee, Cairo, 2004.
- Al Qawsi, Mufarah Ibn Sulaiman. Qeyam Al-Solouk Maa Allah by Ibn Al Qayyem Al Jawzeyah (2nd Section). Nation Book. Research & Studies Centre, Qatar, No. 134, 1430 Hijri.
- Al Rhageb Al Asfahani. The Holy Quran Vocabulary, verified by Safwan Adnan. Dar Al Qalam, Damascus, 2nd Ed, 2002.
- Al Saadi, Abdel Rahman; Al Rahman, Tayseer Al Kareem. The Message Foundation, 1st Ed., 1424.
- Al Sallabi, Ali Mohammad. Alwasatya fi Al-Quran Al-Kareem. Dar Al Nafaes, Amman, 1st Ed., 1999.

List of References:

- Abu Dawood, Sulaiman Bin Al Ashath. The Sunnan. Verified by Mohammad Mohye Addin. Dar Al Fiker.
- Afifi, Abdullah Bin Mohammad. The Morals between Fundamentals and Philosophical Schools (Mesqaweh and Ibn Al Qayyem as Models). Imam MUhammad Ibn Saud University, Riyadh, 2006.
- Al Albani, Mohammad Naser Addin. Correct Sayings Series. Al Maaref Library, Riyadh, 1415-1995.
- Al Asmar, Ahmad Rajab. The Parent Prophet. Dar Al Furqan, Amman, 1st Ed. 2008.
- Al Bukarri, Mohammad Ibn Ismail. The Correct Collection, verified by Mustafa Al Bagha, Dar Ibn Katheer, Beirut, 3rd Ed, 1407-1987.
- Al Fairouz Abbadi, Mohammed Ibn Yaqoub. The Complete Dictionary, verified by The Heritage Verification Office, Message Foundation, Beirut, 6th Ed., 1419-1998.
- Al Ghazali, Abu Hamed. Ihyaa Iloum Al-Deen. Dar Al Marefeh, Beirut.
- Al Hamouri, Faisal Mohammad. The Responsibility between Islamic Education and Western Education. MA thesis, Islamic Studies Dept., Faculty of Sharia, Yarmouk University, Irbid- Jordan, 2002.

The Ethical Bedrock of Islamic Education & Its Educational Reflections: Authentication Study

Dr. Adnan Mustafa Khatatebah
Associate Professor of Islamic Education, Department of Islamic Studies, Faculty of Sharia, Yarmuk University, Jordan

Abstract:

The aim of the study was to investigate the ethical origin of Islamic education and its educational reflect ions. The study addressed the following questions: What is the concept of ethical origin for Islamic education? What are the basic principles of ethical origin for Islamic education? What are the most significant reflections ethical origin for Islamic education? The study used the theoretical rooting approach as the deductive descriptive methodology was used. The most significant results of the study were that ethical origin for Islamic education represents the ethical principles system used to build the Islamic education and depends on its in its theoretical and practical aspects. The consideration by the Islamic education to the ethical origin principles shows the reality of Islamic systems and its legislations and values. The commitment of education towards the sourcing principle translated by eliciting the an ethical list needed by the educational process from Quran and Sunna. The systematic principle emphasizes the essence of the ethical issue in the Islamic education interest and that the application of standardization principle provides the community an ethical education characterized by objectivity. The consideration by the punishment and reward principle makes the education process a positive and credible one, critical and real. The study recommended that educational institutions gives the ethical origin for Islamic education in its concept and principles a broader are in their textbooks content and scientific research.

Key words: Ethical origin, Islamic education, Educational reflections.